حركات التغيير والحراك الجماهيري

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
1427هـ/2007م

رقم الإيداع: 2006/11685

لؤلؤة

www.LOALOAA.com
0106376861
0101511707

(1)

المجموعة الجيواستراتيجية للدراسات

سلسلة الجغرافيا في خدمة الشعوب

حركات التغيير والحراك الجماهيري

ياسر الغرباوي

المجموعة الجيواستراتيجية للدراسات

إهداء .....
المقدمة .....
الفصل الأول .....
تعريف مفهوم الحركة .....
تعريف مفهوم الإقليم .....
ديموجرافيا الإقليم .....
خريطة الشرائح السكانية .....
شرائح حركات التغيير .....
آليات تقسيم الشرائح .....
التجربة الهندية حركة غاندي .....
الثورة تبدأ من حقول الأرز .....
التجربة الإيرانية .....
التقسيم الزمنى للشرائح .....
تجربة الدعوة العباسية .....
تجربة الرسول ﷺ .....
الواقع العالمي المعاصر وخريطة الشرائح .....
تجربة الشَّعب التشيلي .....

الشريحة الذهبية .....
التجربة الصربية .....
تجربة الحركة الإسلامية السودانية .....
تجربة حركة طالبان .....
استيراد الحلول والاستراتيجيات .....
الحركات المهاجرة.....
ثورة اشتراكية .....
استراتيجيتان إسلاميتان تتواجهان .....
النموذج النبوي ﷺ .....
ملخص الفصل الأول .....
الفصل الثاني .....
الثلاثية الحساسة (العرق، والدين، واللغة) .....
حركة الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية .....
حركة الزنوج والمكاسب الصلبة .....
المكسب الهش .....
قوة إضافية .....
نموذج الحركة الهندية .....
المشروع الإسلامي .....

حركة حزب الله .. النشأة والجذور .....
الحركات التغييرية والحفاظ على النسيج الوطني .....
الوقائع المعاصرة والثلاثية الحساسة .....
بناء الحركات وثقافة التعايش .....
مصيدة الخرافات الخمسة .....
نماذج ناجحة للتعايش .....
العدالة والاعتراف الثقافي في جواتيمالا.....
جنوب أفريقيا .....
النموذج الماليزي.....
النموذج المصري .....
نماذج فاشلة .....
ميكانيزم المشاكل الطائفية .....
علاقة الدين بالدولة .....
ملخص الفصل الثاني .....
الفصل الثالث .....
الحركات التغييرية والأحجام السكانية .....
شرارة الإبداع .....

التوسع الأوربي وحجم السكان .....
التوسع الإسلامى وحجم السكان .....
حركة «ماو» والطوفان البشري الصيني .....
الحركة الصهيونية والتحدي الديموغرافي .....
ملخص الفصل الثالث .....
الفصل الرابع .....
حركات التغيير والذاكرة التاريخية للإقليم .....
طرق إستخدام التاريخ .....
الطرق الخاطئة لعرض التاريخ .....
الجبرية الثقافية .....
النظرة الأحادية للوقائع .....
الشعوب وجينات الخضوع .....
الذاكرة التاريخية للحركات .....
قادة الحركات ومثلث الذاكرة .....
ملخص الفصل الرابع .....
الملاحق .....

* * *

إهـــــداء

تُهـدي المجموعـة الجيواسـتراتيجية للدراسـات هـذا الإصـدار إلى المهتمين بقضايا الحـراك الاجتمـاعي والـسياسي والثقـافي مـن البـاحثين والمناضلين الحريصين على تحويل الواقع المؤلم إلى مستقبل مشرق.

كما تهديه إلى كلِّ الحركـات المقاومـة والمناضـلة حـول العـالم التـى تسعى نحو تحرير أراضيها، وامتلاك سيادتها، وتحرير شـعوبها مـن الفقـر والجهل والتخلف.

وتهديه أيضًا إلى المهتمين بعملية التغيير، والذين قد يكـون بعـضهم فى سدة اتخاذ القرار، وبعضهم فى منطقة وسط تطمـح أن تتأهـل لفهـم المشهد القائم بكافة أطيافه حتى تحسن التعامل معه بعد ذلك.

كما تشكر المجموعة الجيواسـتراتيجية للدراسـات، وتقـدر كـلَّ مَـنْ ساهم، وساعد في إخراج هذا الكتـاب، وعلـى رأسـهم الأسـتاذ عمـرو منصور، حسن بكر، محمد الـشهواني، عبـد الله الخالـدي، شـاكر فـودة، سامح جميل.

ياسر الغرباوي

المجموعة الجيواستراتيجية للدراسات

www.geosg.org

مقدمـــــــة

لا يهز الشجرة إلا فرع منها، والمياه الراكدة لا يحركها إلا الموج الهادر، والشعوب والمجتمعات لا يدفع في عروقها الدم المتدفق إلا الحركات الصاعدة التي تتنسم عبير المستقبل، وتستشرف أحلام الجماهير، وتقدم البدائل الذهبية القادرة على إخراج المجتمعات من دائرة التحديات التي تواجهها، فالحركات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الفتية الصاعدة تمثل قنطرة عبور للأمم نحو التقدم؛ لأنها تتعالى على الواقع القائم، وتبشر بغد أرحب ومستقبل أفضل، فتبعث في روح الأمم والشعوب الأملَ والطموحَ والتحدي.

فكلما زادت خصوبة المجتمعات وقدرتها على إنجاب كثير من الحركات التي تمتلك رؤى وبدائل فاعلة للخروج من نفق التحديات المستعصية؛ كلما كانت تسير نحو المسار السليم والرشيد، فها هي أوروبا التي عاشت في عصر الظلمات عقودًا عديدة، لم تخرج نحو عصر النهضة إلا على أكتاف حركات سياسية وثقافية واجتماعية، لم ترض بالواقع المؤلم، وحلمت بالمستقبل وبشرت المجتمعات الأوربية به، وبذلت الغالي والنفيس على مستوى أفرادها وروادها ومفكريها، وفي النهاية.. انحازت الجماهير والمجتمعات الأوربية لرواد المستقبل (الحركات) ضد خصومهم المعاندين، وحلقوا معهم نحو التقدم والعلم والسيادة، وقدموا نموذجًا

للأمم يمكن الاستفادة منه حسب ثقافة وقيم كل شعب( ).

ومجتمعاتنا الآن تشهد نمو كثير من الحركات في العديد من المجالات المتنوعة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، وهذا يمثل بارقة أمل لشعوبنا نحو بوابة المستقبل (العلم والتقدم والسيادة)، وبقدر نجاح الحركات في كسب الجماهير والمجتمعات نحو رؤيتها واستراتيجيتها الجديدة، يقل المدى الزمني أو يزيد نحو خروج مجتمعاتنا من نفق الركود والتخلف؛ فتدافع الحركات والحكومات والمنظمات نحو كسب الجماهير (الطرف الثالث) يدفع في اتجاه إبداع الحلول، وتلاقح الرؤى، واختيار البدائل، وفي المحصلة النهائية يحدد هذا التدافع أو الصراع مَنْ هو الأصلح والأجدر بقيادة المجتمع والشعب نحو مرحلة جديدة.

محتوى الكتاب:

يبحث الكتاب في تأثير الملف الديموغرافي (السكان) على نجاح أو فشل حركات التغيير، ليسلط الضوء على شكل العلاقة بين الأب (الإقليم) والابن (الحركة) من أجل إيجاد مجتمعات تستثمر التنوع في تقدمها ونجاحها، فكلما نجحت الحركة في فهم شخصية الإقليم الذي تعمل فيه كلما كانت فرص نجاحها أكبر، والعكس صحيح.

وبوصلة الكتاب مضبوطة على أن الحركات تنشأ استجابةً لتحد ما يقف في وجه آمال وطموح إقليم ما أو دولة من الدول أو أمة من

( ) ترجمة د/ عبد الحميد يونس: قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، الجزء الرابع، مطابع الدجوى،1972م.

الأمم، فحركات المقاومة تنشأ استجابة لتحدي الاحتلال، وحركات الديمقراطية تنشأ لمواجهة تحدي الاستبداد والقهر، في المحصلة النهائية تكون الحركة هي بنت الإقليم الذي تنشأ فيه، وتحمل الصفات الوراثية الكاملة للإقليم (السكانية والجغرافية والتاريخية والسياسية).

ركزتُ على البعد الجغرافي للإقليم وتأثيره على الحركات، وتناولتُ في هذا الإصدار البُعد الديمواجرفي للإقليم (السكان)، من حيث شرائحهم وذاكرتهم التاريخية وحجمهم ولغاتهم وأديانهم وأعراقهم، ومدى تأثير هذه المحاور على طبيعة واستراتيجيات حركات التغيير، على أمل أن أكون وفرت للمكتبة العربية كتيبًا متواضعًا في ملف بالغ الأهمية (الحركات التغييرية)، يستحق بذل الجهود فيه لكونه يتعلق بمستقبل شعوبنا ومجتمعنا، ويدعم مسيرتها نحو التحرر والتقدم.

والكتاب يشتمل أربعة فصول رئيسية:

الأول: حركات التغيير وعلاقتها بخريطة الشرائح السكانية.

الثاني: حركات التغيير والثلاثية الحساسة (العرق والدين واللغة).

الثالث: حركات التغيير وحجم السكان فى الإقليم، وأثره عليها.

الرابع: الحركات والذاكرة التاريخية والثقافية للإقليم.

خريطة الشرائح

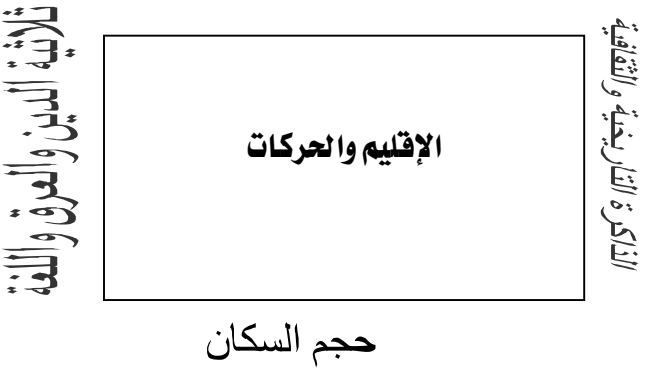

حجم السكان

الفصل الأول

«لا نجـــاح لحركـــات التغـــيير إلا بفهـــم شخـــصية الإقليم الذي تنشأ فيه»

المجموعة الجيواستراتيجية للدراسات( )

( ) لمعرفة المزيد حول مصطلح الشخصية الإقليمية يمكن الرجوع للملحق الأول ص178.

«لا نجاح لحركات التغيير
إلا بفهم شخصية الإقليم الذي
تنشأ فيه»

تعريف مفهومي الحركة والإقليم:

يحسن ابتدأً تعريف مفهومي الحركة والإقليم المستخدمين في الكتاب.

أولا: مفهوم الحركة

هناك صعوبة في محاولة تعريف مفهوم الحركة من خلال كلمات أو عبارات مختصرة؛ فالحركة – بالمعنى الجسدي – تعني التحرك من مكان إلى آخر، أو تحريك شيء من مكان إلى آخر، أو تحرك في الوضع لا يعني بالضرورة الانتقال إلى موقع جغرافي مختلف، كأن نقول مثلاً: إنَّ ردَّ الفعل الذي يتجلى في تعبيرات وجه شخص ما يشير إلى الدهشة أو الاستغراب.

أما بالمعنى الاجتماعي؛ فيمكن الإشارة إلى الحركة باعتبارها القيام بعدد من الأنشطة للدفاع عن مبدأ ما، أو للوصول إلى هدف ما؛ كما تتضمن الحركة الاجتماعية وجود اتجاه عام للتغيير؛ وهي تشمل أيضًا مجموعات من البشر يحملون عقيدةً أو أفكارًا مشتركةً، ويحاولون تحقيق بعض الأهداف العامة، وهناك تعريف أكثر تحديداهو أن الحركة الاجتماعية هي محاولة قصدية للتدخل في عملية التغيير الاجتماعي،

وهي تتكون من مجموعة من الناس يندرجون في أنشطة محددة، ويستعملون خطابًا يستهدف تغيير المجتمع، وتحدي سلطة النظام السياسي القائم، كما يقترن مفهوم الحركة الاجتماعية بمفهوم القوة الاجتماعية، والقدرة على التأثير وإحداث التغيير( ).

ثانياً: مفهوم الإقليم: مصطلح جغرافي ينقسم إلى نوعين:

1- **الإقليم الجغرافي الطبيعي**: يشمل رقعة من الأرض تتشابه في الظروف الطبيعية والمناخية.. إلخ.

2- **الإقليم السياسي (الدولة)** "الكيان المنظم تنظيمًا سياسيًّا مستقرًا، فدولة القانون والمؤسسات، يعيش على أرضها - المحدودة المعالم والمعترف بها سياسيًّا من دول الجوار الجغرافي- سكان قادرة على توفير الأمن والحماية لهم( ).

وفي بحثنا هذا نتعامل مع التعريف الثاني لمصطلح الإقليم (الدولة)؛ فكثير من حركات (التغيير) الحديثة نشأت فيما يعرف بالدولة «**الوطنية**»، وكلُّ إقليم سياسي (دولة) له شخصيته الخاصة المميزة التي يتميز بها عن الدول الأخرى، بمعنى أن له بصمة مختلفة عن بصمات

( ) مقتبسة من الإنترنت

http://www.kefaya.org/reports/0403naola.htm

نولة درويش بتاريخ 2007/11/15 مترجمة

( ) إبراهيم الديب: الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية -1997م.

الأقاليم (الدول) الأخرى، سواء من حيث نوع وسلالة الشعب الذي يعيش على أرضه، أو طبيعة المنتظم السياسي القائم فيه، أو خريطة توزيع القوى السياسية داخله،(فالدول الاشتراكية تختلف في طبيعة اقتصادها عن الدول الرأسمالية، وطبيعة الدول الديمقراطية تختلف عن طبيعة الدول الاستبدادية، والدول الملكية تختلف عن الدول الجمهورية.. إلى آخر الفروق) [1].

فحركات (التغيير) فى أحد القراءات السياسية هي بنت الإقليم الذي تنشأ فيه، وتحمل الكثير من الصفات الجينية الكاملة لشخصية هذا الإقليم، وبقدر اتساقها وحسن تعاملها وفهمها لشخصية الإقليم الذي تتحرك عليه، يكتب لها النجاح أو الفشل في بلوغ أهدافها التي تسعى لها، فحركات التغيير تأتي في أغلب الأحيان استجابةً لرغبة شعبية داخلية لإحداث تغيير ـ إما شامل أو جزئي ـ في أوضاع الإقليم (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية...) نحو الأفضل.

أول المباحث التي يجب على قادة الحركات الإحاطة بها في الإقليم:

ديموجرافيا (Demography) الإقليم الذي تتحرك فيه:

الديموجرافيا (علم السكان) يعرفها قاموس هيئة الأمم المتحدة بأنها: «الدراسات العلمية للسكان فيما يتعلق أساسًا بحجمهم، وبنائهم،

( ) أحمد سويلم العمري –أصول النظم السياسية المقارنة –الهيئة المصرية للكتاب – 1976م.

ونموهم، وفي هذه الأيام تستعمل الكلمة عادة لتشير إلى دراسة الظواهر المتصلة بالمخلوقات البشرية مثل: المواليد، الزواج، الوفيات، الهجرة، كما تتضمن دراسة الطرق الإحصائية والعلاقات القائمة بين السكان.

ليس المقصود هو قيام الحركات بعمل هذه الدراسات والإحصائيات السكانية، وإنما دارسة المرصود منها، وغالبًا تتوفر الآن في الكثير من الأقاليم مؤشرات وإصدارات دورية عن الملف السكاني في الإقليم.

ومن أهم المحاور في ديموجرافيا الإقليم معرفة التركيبة السكانية، والتي تشتمل على عدة أقسام، منها: معرفة خريطة الشرائح والطبقات السكانية، وخريطة العرقيات والديانات التي ينتمي لها سكان الإقليم.. إلى آخر المحاور التي سنركز عليها في ملف السكان.

المحور الأول: معرفة خريطة الشرائح السكانية

الشريحة: المقصود بها: المجموعة من الناس التي تتقارب مستوياتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والمهارية، بالإضافة إلى تقارب أهدافهم وإمكاناتهم( ).

( ) جاسم سلطان: قوانين النهضة القواعد الاستراتيجية، المنصورة، أم القرى -2005م.

وهناك تعريف آخر أكثر شمولاً لمفهوم الشريحة أو الطبقة:

الطبقة الاجتماعية: "هي مجموعة بشرية موسعة لها نفس الموقع في العملية الإنتاجية، ويختص أفرادها بمستوى عيش متقارب - على الأقل الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الفئة- كما أن لهم مصالح مشتركة، ولهم تصورات خاصة بهم عن موقعهم ودورهم في المجتمع، وعن موقع ودور الآخرين فيه، وكل الطبقات الاجتماعية تنقسم إلى فئات تقسم إلى شرائح اجتماعية كالطبقة العمالية، وطبقة ملاك الأراضي الفلاحية، وطبقة البرجوازية وغيرها" ( ).

- حركات التغيير تحتاج إلى ثلاثة شرائح مختلفة، فكلُّ مرحلة من مراحل الحركة لها ما يناسبها من الشرائح، فلا بدَّ لكلِّ حركةٍ من:

1- شريحة بدء.

2- شريحة تغيير.

3- شريحة بناء.

شريحة البدء: ويُطلق عليها أيضًا مصطلح «الشريحة القلقة»؛ بمعنى أن القلق - من التحديات التي تواجه الإقليم- يكون هو القاسم المشترك لكلِّ أفراد هذه الشريحة، والتي ربما تحتوي على أفراد من شرائح مختلفة من المجتمع، جمعهم القلق، والبحث عن مخرج للوضع المتأزم في

( ) http://histoiregeographie.iquebec.com/mostalahat.htm

الإقليم، سواء كان هذا الوضع اقتصاديًّا أو سياسيًّا أو عسكريًّا (احتلال أجنبي)، (ويمثلون النواة الأولى من الناس الذين يجتمعون حول فكرة ما في مرحلة ما، إلا أنهم لا يملكون من الإمكانيات والمهارات ـ كمجموعة وشريحةـ ما يمكنهم من إحداث التغيير بأنفسهم، ولا يعني هذا أن أفراد هذه الشريحة لا يملكون مواهب أو إمكانات، إنما نقصد أن هذه الشريحة في مجموعها لم تصل إلى النقطة الحرجة من الإمكانيات والمهارات التي تؤدي للتغيير)( ).

دور شريحة البدء:

"ويكاد ينحصر دور شريحة البدء -في مجموعها- في التبشير والتعريف بالفكرة، والثبات عليها، والصمود أمام الترغيب والترهيب الرامي إلى إثنائها عن التبشير والدعوة للفكرة، وهنا يجب التنبيه على أن شريحة البدء لها عمر افتراضي محدد، وأن لتلك المرحلة التي تمثلها هذه الشريحة وقتًا ودورًا محددين، أما إذا طال أمدها، ولم يتم الوصول إلى شريحة التغيير، تفقد هذه الشريحة الاتجاه، وتصاب بحالة أشبه بالشلل الفكري والتنفيذي"( ).

مواصفات شريحة البدء: من مواصفات هذه الشريحة: الثبات والصبر والقوة والقدرة على تبليغ الفكرة والتعريف بها، والقدرة على الدخول بها في مساحات لم تكن قد طرقها أحد من قبل، ولكن هذه

( )جاسم سلطان: قوانين النهضة القواعد الاستراتيجية، المنصورة -أم القرى ، 2005م.
( )نفس المرجع.

الشريحة تكاد تعتمد بالكامل على القائد في كلٍّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ويكون دور القائد مركزي مع هذه الشريحة.

شريحة التغيير:

هي الفئة القادرة على التمكين للفكرة (توفير أداة التنفيذ) على مسرح الإقليم، ووضعها على قمة المنتظم السياسي الفاعل في الإقليم، ولا نعني بكلامنا هذا إلغاء دور شريحة البدء في عملية التغيير، ولكننا نقصد أن شريحة البدء لا تمتلك – في مجموعها – أدوات القوة اللازمة لإحداث التغيير، سواء كانت تلك القوة المطلوبة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وهنا يأتي دور شريحة التغيير التي تمتلك ـ في مجموعها ـ هذه القوة المطلوبة، فتمضي الشريحتان (شريحة البدء، وشريحة التغيير) معًا لإحداث التغيير المطلوب.

شريحة البناء: تشمل كل شرائح المجتمع التي تساهم في بنائه، وذلك بعد نجاح الحركة في الوصول لقمة المنتظم السياسي في الإقليم، وهنا يلزم عمل عقد اجتماعي جديد يعمل على استيعاب جميع شرائح المجتمع وفئاته، بحيث تصبح أداة من أدوات التنمية، وتجنيبها أن تصبح عصا لوقف عملية التنمية( ).

( ) جاسم سلطان: قوانين النهضة القواعد الاستراتيجية، المنصورة- أم القرى -2005

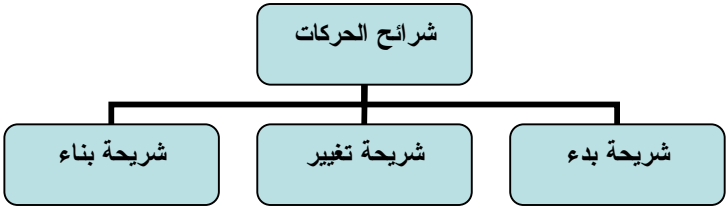

الشكل رقم (1)

المحور الثاني: آليات تقسيم شرائح المجتمع:

يمكن تقسيم شرائح المجتمع طبقًا للاعتبارات التالية:

1- الأعمار: طلاب فما فوقهم.

2- الطبقة الاجتماعية: عليا أو وسطى أو دنيا.

3- المهن: العمال أو الفلاحين أو المثقفين أو التجار أو العسكر.

4- المستوى التعليمي: أساسي أو جامعي.

واختيار الشريحة المناسبة عمريًّا واجتماعيًّا ومهنيًّا وتعليميًّا يعتمد على ثلاث عوامل أسياسية:

أ- وسيلة التغيير.

ب- عمق التغيير (مدى التغيير المطلوب، هل هو شامل أم جزئي؟)( )

( ) نفس المرجع السابق.

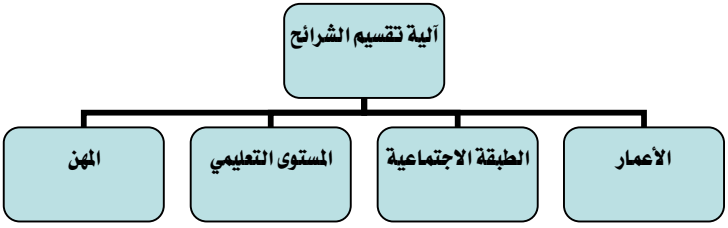

الشكل رقم (2)

النماذج التطبيقية:

من خلال استعراض العديد من تجارب الحركات التغييرية مع خريطة الشرائح السكانية على اختلاف مستوياتها التعليمية والسنية والمهنية يتضح لنا مدى أهمية إدراك خريطة الشرائح الاجتماعية المحلية فى كل إقليم، ودور كل شريحة في نجاح الحركات التغييرية وبلوغها لأهدافها التى قامت من أجلها، ونبدأ هذه النماذج بالتجربة الهندية:

قاد غاندي حركة التحرر الهندية من الاحتلال البريطاني في عام 1930م، وقرر أن يبدأ بمسيرة الملح منطلقًا من القرى والمناطق الريفية (التي تمثل شريحة البدء) تجاه الحواضر والمدن الساحلية، مما وفر لغاندي فرصة لحشد الأنصار والوصول من خلالهم لعمق المجتمع الهندي وحشده في وجه المستعمر الإنجليزي( )؛ فلم يظهر أثر دعوات غاندي

( ) أحمد عبدالحكيم: هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث –بيروت. دار العلوم العربية-2007م

في العاصمة الهندية إلا بعدما تشبعت الأرياف والقرى بأفكار غاندي، ومن ثم ظهر صداها في العاصمة الهندية، متمثلة في استراتيجية مقاطعة متاجر الأقمشة الإنجليزية؛ فالحراك في الريف ـ حيث تضعف قبضة المحتل الإنجليزي ـ وفر لغاندي منصات متحركة لإطلاق أفكاره وسط الجماهير.

دعَّم القرويون حركة غاندي من خلال تقديم نموذج في القدرة على الفعل، حيث تحركوا معه نحو الشواطئ، وبدءوا في استخراج الملح بالوسائل البدائية من خلال غلي ماء البحر في آواني معدنية، وإشعال النار تحتها بالحطب، وكسروا الاحتكار الإنجليزي لإنتاج الملح في الهند (قانون الملح)، وكان لهذا النجاح الأثر الأكبر في انضمام الشرائح الوسطى من المجتمع الهندي التي تتواجد في المدن الكبرى إلى حركة غاندي، حيث مثل نجاح القرويين في تحدي ما يعرف بـ«قانون الملح» في تلك الفترة حافزًا لهم لتقديم نموذج آخر داعم لحركة التحرر (استراتيجية الحراك بالعدوى) من خلال سلاح المقاطعة للمنتج الإنجليزي (الأقمشة)، ومن خلال التواصل مع الإعلام العالمي الذي نقل أشكال القمع العنيف الذي مورس على الهنود في شوراع دلهي من قِبل الجنود الإنجليز، باستخدام العصا الفولاذية التي تحطم الرأس، مما ساعد في زيادة الضغط على الحكومة البريطانية، ومثَّل لها إحراجًا على المستوى الداخلي البريطاني، وعلى المستوى الدولي.ومن أشهر مظاهر حركة غاندى فى الهند هى مسيرة الملح التى سنتعرف على بعض ملامحها الهامة .

غاندي ومسيرة الملح

بداية المسيرة:

مقر غاندي على نهر سابراماتي قرب الساحل الغربي للهند.

نهاية المسيرة:

بلدة دندي الساحلية.

المسافة:

387 كم تقريبًا (240 ميل).

القرى التي مرت عليها المسيرة:

هذه القرى تقع على الساحل الغربي للهند، وأغلبها يشتغل بصناعة الملح، ويبلغ عددها تقريبًا 8 قرى، و4 مقاطعات، ويظهر من الخريطة التالية أهم القرى التي ألقى فيها خطبًا[1].

---

1. A Force More Powerful (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI.

The Salt March - Route Map

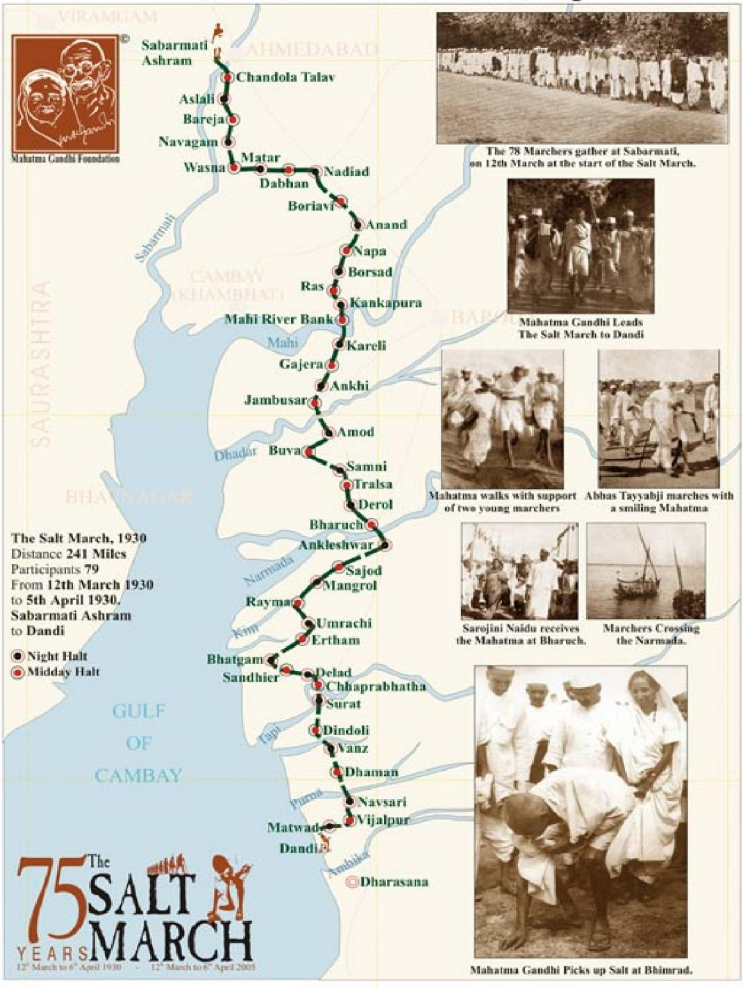

الوقت المستغرق للمسيرة: 24 يوما، كان يخصص يوم الاثنين من كل أسبوع للراحة، وكان غاندي ينام 4 ساعات في اليوم( ).

ومن تجربة غاندي يتضح أن كلَّ شريحة من شرائح المجتمع قدمت نوعًا مختلفًا من أشكال الدعم لحركة التحرر، بما يتناسب مع قدراتها وحجمها وساحتها الجغرافية التي تتحرك فوقها، فإنْ كان القرويون قد كسروا قانون الملح، فسكان الحواضر قاطعوا المنتجات الصناعية الإنجليزية، بالإضافة إلى أنهم مثلوا همزة الوصل بين حركة التحرر في الداخل والمجتمع الدولي في الخارج.

فكلما تعددت الشرائح الاجتماعية المختلفة المشاركة في جهود الحركات، كلما كانت فرص نجاحها أكبر من الحركات التي تعتمد على شريحة واحدة.

فمعرفة خريطة الشرائح الاجتماعية وأماكن التركز الجغرافي للشرائح المختلفة وحركة تنقلاتها داخل الإقليم، يعطي تصورًا جيدًا لقادة الحركات عن نقاط القوة في الشرائح التي يمكن الاعتماد عليها، ويساعد في الإجابة عن الأسئلة المفصلية للحركات، مثل:

ما هي الشريحة التي تمثل القاطرة في مسار التغيير؟

أين تتواجد هذه الشريحة؟

( ) نفس المرجع السابق

ما هي نسبتها في المجتمع؟

وما هي آليات التواصل مع هذه الشرائح؟

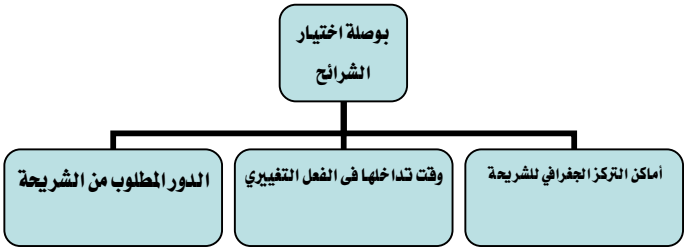

الشكل رقم (3)

وبعد استعراض التجربة الهندية ننتقل لدولة مجاورة لها تمت على أرضها تجربة تغييرية تستحق الدارسة والتفحص نتقل للتجربة الصينية فى عهد ماو تسي تونج، ونستعرض تعاملها مع خريطة الشرائح السكانية والاجتماعية فى المجتمع الصيني.

الثورة تبدأ في حقول الأرز:

في أكتوبر سنة 1927م اتخذ «ماو تسي تونج»( ) قرارًا هامًا بالانتقال إلى الجبال في تسينجكانج؛ لبناء قاعدة وبناء صف جديد من جيش التحرير، وكان عدد من قادة الحزب الشيوعي غير متفقين مع هذه المبادرة، لم يكن هناك خلال هذه الفترة سوى أربعة ملايين عامل في

( ) لمعرفة المزيد عن شخصية «ماو تسى تونج» يمكن الرجوع للملحق الأول ص 182

الصين كلها، مقارنة مع 500 مليون من الفلاحين، لكن هؤلاء القادة كانوا يرون أنه رغم ذلك ينبغي للثورة أن تنطلق من المدن.. لكن «ماو» كان له رأي مخالف؛ إذ كان يقرُّ أن الثورة المضادة كانت قوية، بينما الثوريون ضعفاء ومشتتون، لهذا كان ينبغي ـ في نظره ـ الذهاب إلى الريف، حيث كانت خطته هي بناء قاعدة ارتكاز، كفيلة بمنح الدعم الاقتصادي والسياسي للنظام الثوري الجديد، كان يعتبر أنها الطريقة الوحيدة للحصول على الدعم الحقيقي للجماهير، وطبعًا لتطويق المدن والاستيلاء على السلطة فيها، وجعل «ماو» شعار المرحلة الجديدة: «الثورة تبدأ في حقول الأرز»، بعدما فشل شعارها الأول: «الثورة تبدأ في مدن العمال»، وتحول مسار الثورة الصينية جغرافيًّا من ساحات المدن العمالية إلى مزارع الأرز، بمعنى الاعتماد على «شريحة الفلاحين».

ونجح ماو تسي تونج في تكوين جيش من الحفاة، بلغ في بعض المراحل خمسين ألفًا من الجنود الأشداء، حقق من خلالهم أهداف حركته في الإقليم الصيني( ).

فكلُّ حركة تغييرية ينبغي أن تراعي أبعاد الشخصية الجغرافية السكانية للإقليم، والتي من محورها معرفة الشرائح الاجتماعية، ومعرفة نسبة كل شريحة مقارنة بالشرائح الأخرى، ومعرفة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين هذه الشرائح وبعضها البعض، هل هي علاقات تعاون

( ) ترجمة حسين الحوت، حمدي حافظ ـ ماو تسي تونج.. حياته وعصره ـ روي ماك جريجور هاستي ـ – القاهرة – الدار القومية للطباعة والنشر ص 73.

وتنافس، أم علاقات صراع وتناحر؟ ومعرفة الذاكرة التاريخية للشرائح، هل تاريخ الشريحة داعم للعمل التغييري؟ أم أن تاريخها يقف ضد العمل التغييرى؟ هذا على مستوى تفاصيل الداخل المحلي، والذي بطبيعة الحال يؤثر على واقع الحركة من حيث الاستراتيجيات والآليات، والذي ينبغي أن تحسن الحركة التعامل معه.

الآن نقترب أكثر من المنطقة العربية من خلال استعراض تجربة تغييرية حديثة وقعت على أطراف المنطقة العربية، وعلى الضفاف الشرقية للخليج العربى الهادر تحديدًا فى دولة إيران.

التجربة الإيرانية:

ركَّزت حركة التغيير (الثورة الإيرانية بقيادة الخوميني) في مرحلة الحسم مع نظام الشاه على التواصل مع شريحة العمال في مصفاة البترول في منطقة عبدان، ونجحت الحركة في إقناع العاملين في المصفاة على الدخول في إضراب تام عن العمل لمدة تزيد على ستة أشهر كاملة، وكان شعارهم: إننا لن نصدر البترول إلا عندما نصدر الشاه شخصيًا معه( ).

مما كان له الأثر النوعي في الفعل التغييري على المستوى المحلي، وأيضًا على المستوي الدولي؛ لحساسية قطاع النفط في الاقتصاد العالمي( ).

( ) آمال السبكي: تاريخ إيران السياسيى بين ثورتين 1906-1979 – عالم المعرفة رقم1999،250.

( ) إبراهيم الدسوقي شتا: الثورة الإيرانية ..الصراع ..الملحمة ..النصر 1/ 2 الزهراء، الطبعة الأولى 1986م.

ويتضح من التجربة التغييرية الإيرانية فى تعاملها مع خريطة الشرائح الاجتماعية أن شريحة العمال مثلت جزءًا مهمًا من شريحة التغيير، وساهمت في حسم الصراع مع الشاه ونظامه، وبالتالي ينبغي لقادة حركات التغيير أن يستوعبوا «ميكانيزم» الحراك بين الشرائح المختلفة، فمثلاً هل المطلوب اجتذاب كل الشرائح للعمل التغييري في وقت واحد؟ أم البدء بشريحة معينة والنجاح معها، ثم الانتقال للشرائح الأخرى، وما هي الشرائح التي تقع تحت بند هام وعاجل؟ بمعنى أنه لا يمكن تأخير استهدافها وجذبها للعمل التغييري، وما هي الشريحة التي تقع تحت هام وغير عاجل، فيمكن أن تلحق بالعمل التغييري متأخرة عن الشريحة الأولي وما هي الشريحة التي تقع تحت بند غير هام وغير عاجل

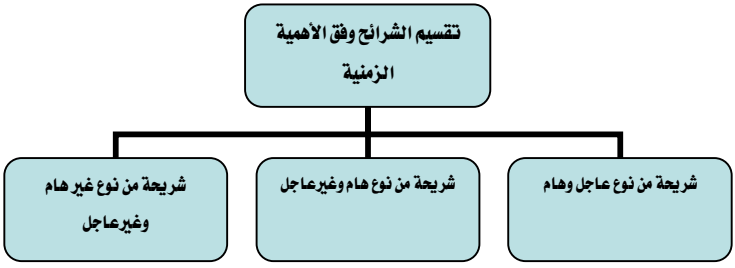

الشكل رقم (4)

وتشترك التجربة الصينية فى وقت التواصل مع الشرائح الاجتماعية مع التجربة الإيرانية، فشريحة المثقفين والمتعلمين في تجربة حركة ماو تسي تونج في الصين، لم تكن في نظرة «ماو» الاستراتيجية تقع

تحت بند هام وعاجل، ولذلك لم يبذل جهدًا يذكر في التواصل معها واستهدافها، وجاء التحاق هذه الشريحة بالعمل الثوري مع «ماو» في العام 1936م، أي: بعدما يقرب من عشرة أعوام من بداية حركة «ماو» مع الفلاحين، وجاءت من خلال متابعة خطابات «ماو»، وما ينشر عنه، ومن خلال الإعجاب بمواقف «ماو» الوطنية ضد الاحتلال الياباني.

أما شريحة الفلاحين عند «ماو»؛ فقد كانت تقع تحت بند هام وعاجل، ولذلك قرر الانتقال فورًا إلى الحقول حيث الفلاحين، بعد فشل شريحة العمال في حمل المشروع الثوري( ).

ولكن معرفة أي الشرائح أهم من الأخرى أمر يخضع بعد التخطيط والدارسة إلى «نظرية التعلم» بالخطأ والصواب، فمن خلال التجربة والميدان والاحتكاك يتبين لقادة الحركات ما هي الشريحة التي لا يمكن تأخير استهدافها وجذبها للفعل التغييري؟ وما تلك التي يمكن تأخيرها أو إهمالها؟ وبالتالي لا بدَّ لاستراتيجيات الحركات أن تتسم بالمرونة والقابلبية للاستجابة للمتغيرات الجديدة، وخاصة في ملف اختيار الشريحة المناسبة لعملية التغيير.

والآن نصل لنرصد بعض تجارب الحركات التغييرية التاريخية التى وقعت على ساحة المسرح العربي والإسلامي، ونقف على كيفية تعاملها مع خريطة الشرائح السكانية والاجتماعية.

( ) ترجمة حسين الحوت، حمدي حافظ ـ ماو تسي تونج.. حياته وعصره ـ روي ماك جريجور هاستي ـ – القاهرة –الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ.

تجربة الدولة العباسية:

«وما تكاد سنة 129هـ/ 747م تقبل، حتى يصدر أمر الإمام العباسي «إبراهيم بن محمد» أن يكون «أبو مسلم الخراساني» رئيسًا للدعاة جميعًا في خراسان وما حولها، وكلَّفه أن يجهر بالدعوة للعباسيين علنًا، وأن يعمل على جعل خراسان قاعدة للانطلاق بقواته ضد البيت الأموي»( ).

انتقال الخلافة إلى العباسيين:

لقد صدر الأمر إلى أبي مسلم بالجهر بالدعوة للعباسيين في عهد آخر خلفاء بني أمية (مروان بن محمد)، ولم يلبث أبو مسلم أن دخل «مرو» عاصمة خراسان، ولم يهتم بنو أمية بهذا الأمر بسبب انشغالهم بصراعات أنصارهم بالشام، وانشقاق زعماء الأمويين على أنفسهم، ولم يمدُّوا واليهم على خراسان بشيء، فأدرك أبو مسلم الخراساني أن الوالي الأموي لن يصبر طويلاً، وأن «مرو» ستفتح يومًا ما قريبًا، فأخذ يجمع العرب من حوله، ثم انقض بهم على «مرو» ففتحت له، وكان ذلك سنة 130هـ/ 748م.

وواصل أبو مسلم فتوحاته، فدانت له بلخ وسمرقند وطخارستان والطبسين.. وغيرها، وتمكن من بسط سيطرته ونفوذه على خراسان جميعًا، وراح يتطلع إلى غيرها، وكان كلما فتح مكانًا أخذ البيعة من أهله

( ) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية،- بيروت - المكتب الإسلامي 2000.

على كتاب الله Y وسنة نبيه ﷺ، وعلى «الرضا من آل محمد»؛ أي يبايعون إماما مرضيًّا عنه من آل البيت، من غير أن يعيِّنه لهم.

والواقع أن بني أمية كانوا نيامًا في آخر عهدهم، لا يعلمون مِن أمر القيادة الرئيسية لهذه الدعوة العباسية شيئًا، ولما وقع في يد الخليفة (مروان بن محمد) كتابًا من الإمام إبراهيم العباسي يحمل تعليماته إلى الدعاة، ويكشف عن خطتهم وتنظيمهم، كان منشغلاً بتوطيد سلطانه المتزعزع، وقمع الثائرين ضده، واكتفى الخليفة مروان بن محمد بأن أرسل إلى القائم بالأمر في دمشق للقبض على الإمام إبراهيم بن محمد بـ«الحميمة»، وإيداعه في السجن، وتمَّ القبض عليه وأودع السجن، فظلَّ به حبيسًا إلى أن مات في خلافة مروان بن محمد سنة 132هـ/ 750م.

ولما علم إبراهيم بالمصير الذي ينتظره، وعلم أن أنصاره ومؤيديه قد واصلوا انتصاراتهم، وأن الكوفة قد دانت لهم وصارت في قبضتهم، أوصى لأخيه أبي العباس بالإمامة، طالبًا منه أن يرحل إلى الكوفة ومعه أهل بيته؛ لينزل على داعي العباسيين بها، وهو أبو سلمة الخلال، فهناك يكون في مأمن من رقابة الأمويين وسلطانهم، وهناك في الكوفة ـ بعد قليل من وصول آل العباس إليها ـ تمت مبايعة أبي العباس خليفة للمسلمين( )».

( ) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية، ، 1971م.

براعة الاختيار:

في نموذج الدعوة العباسية (شريحة البدء) راهنت على التبشير لدعوتهم والبحث عن شريحة التغيير في منطقة جغرافية نائية (منطقة خراسان) تقع في أطراف الإمبراطورية الإسلامية التي كانت تخضع للأمويين، الأعداء التقليدين للدعوة العباسية، مما وفَّر للعباسيين – مبدئيًا- البعد عن القبضة القوية للأمويين في منطقة المركز، واختيار خراسان جاء بناءً على مواصفات وضعها مؤسس الدعوة العباسية (محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) حيث وصف «سيوكولوجية» سكان منطقة خراسان، فقال: «ففيها العدد الكثير، والجلد الظاهر، وصدور سليمة، وقلوب فازعة( )»، بالمعنى العصري: مادة خام جيدة، مما كان له الأثر القوي في نجاح قيام الدولة العباسية، فاختيار الشريحة المناسبة في البقعة الجغرافية السليمة، والقادرة على حمل مشروع الحركة الحضاري، يعدُّ من أهم العوامل التي تؤثر في نجاح أو فشل حركات التغيير.

( ) نفس المرجع السابق.

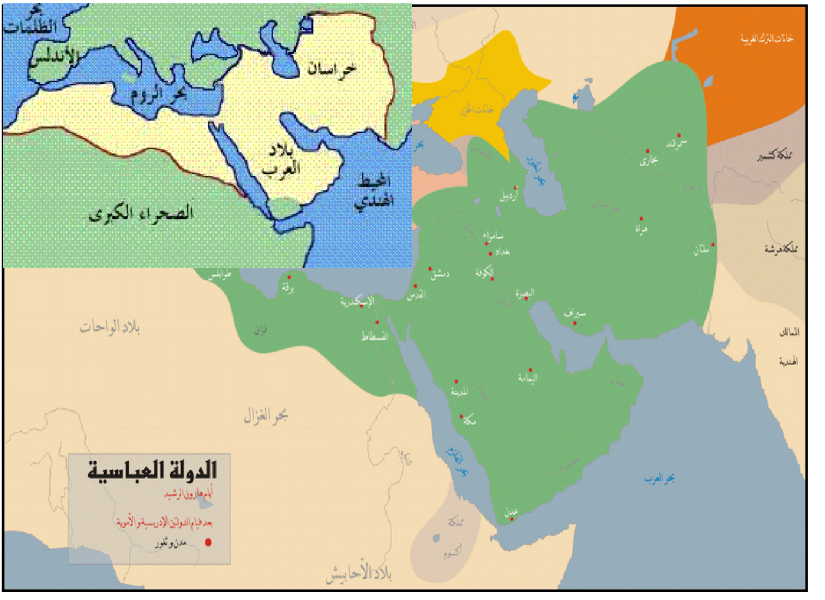

خريطة الخلافة العباسية( )

( )

http://www.islamstory.com/Article.aspx?ArticleID=6.2&SectionID=0
http://islam.aljayyash.net/encyclopedia/book-6-19

تجربة الرسول ﷺ:

في التجربة النبوية، بدأ الرسول ﷺ دعوتة في مكة التي مثلت نقطة الانطلاق للمشروع الإسلامي، وكون فيها الشريحة الأولى من حاملي الفكرة والساعين لنشرها (شريحة البدء)، ثم انطلق يبحث عن ما يعرف بشريحة التغيير التي تحمل المشروع الإسلامي للمربع رقم اثنان، بمعنى توفير دولة للمشروع، وتمثلت شريحة التغيير في «الأنصار»، والحصول على هذه الشريحة كلَّف الرسول ﷺ جهدًا شاقًا وكبيرًا ومضنيًا، على الرغم من معرفة الرسول ﷺ لأنساب وخصائص الكثير من القبائل العربية من خلال خبرته وخبرة أبرز قواده أبي بكر الصديق، وبدأ الرسول ﷺ في البحث عن هذه الشريحة من العام العاشر من البعثة، أي: بعد سبعة سنوات من محاولة الوصول لشريحة التغيير في مكة، وإحساس الرسول بعدم الجدوى من هذه المحاولة، انتقل الرسول ﷺ إلى محاولة الحصول على شريحة التغيير من القبائل المحيطة، فكانت البداية بخروجه للطائف (ثاني أكبر قبلية بعد قريش)، وفي هذا يقول المقريزي: «ثم عرض ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم:

1- بنو عامر

2- غسان

3- بنو فزارة

4- بنو مرة

5- بنو حنيفة

6- بنو سليم

7- بنو عبس

8- بنو نصر

9- ثعلبة بن عكابة

10- كندة

11- بنو كلب

12- بنو الحارث بن كعب

13- بنو عذرة وقيس بن الخطيم

14- أبو اليسر أنس بن أبي رافع

فإذا أضفنا إلى هذه القبائل محاولة الطائف ومحاولته مع أهل يثرب، سنجد أن مجموع المحاولات التي قام بها الرسول ﷺ للوصول إلى الشريحة التغييرية، يصل إلى ست عشرة محاولة (16محاولة).( )

ثم انطلاق الرسول ﷺ في مرحلة بناء واستقرار الدولة في المدنية، معتمدًا على كل أطياف وشرائح المجتمع في المدنية، بما فيهم اليهود

( ) جاسم سلطان –قوانين النهضة القواعد الإستراتيجية، المنصورة- أم القرى -2005

وغيرهم، والذين كونوا معًا جميعًا «شريحة البناء» التي وفرت الحماية والقوة والسلطة للدولة الجديدة، ونجح الرسول في صياغة عقد اجتماعي داخلي بين الشرائح والطوائف العرقية والدينية المختلفة في دولته الجديدة.

موقع مكة (بداية الدعوة المحمدية - البديل الأول للمشروع الإسلامي)

ترتفع عن سطح البحر 330 مترًا تقريبًا.

موقع الطائف (من البدائل المقترحة لنقل المشروع الإسلامي إليها)

ترتفع عن سطح البحر 1700 متر تقريبًا، وتبعد عن مكة 90 كم تقريبًا.

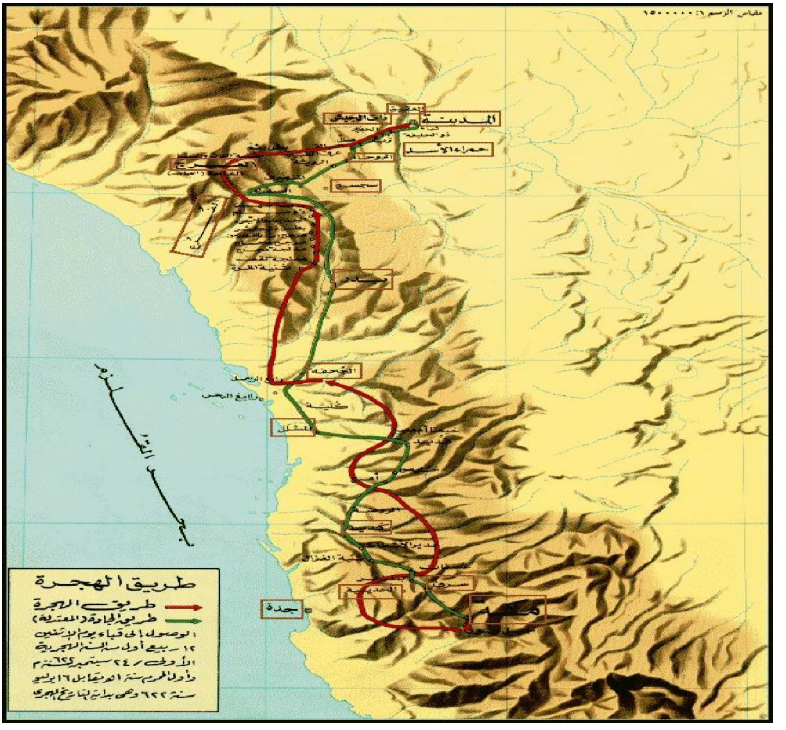

موقع المدينة (البديل الذي تم نقل المشروع إليه):

ترتفع عن سطح البحر 619 مترًا تقريبًا.

طريق الهجرة:

مسافة الهجرة تزيد عن 450 كم تقريبًا.

خرج من بيته ﷺ في 27 صفر سنة 14 من النبوة (12-13 سبتمبر سنة 622م).

وصل إلى قباء في 8 ربيع الأول سنة 14 من النبوة (23 سبتمبر سنة 622 م)، وأقام فيها 4 ليال (الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس)، الوقت الإجمالي= 15 يومًا تقريبًا( ).

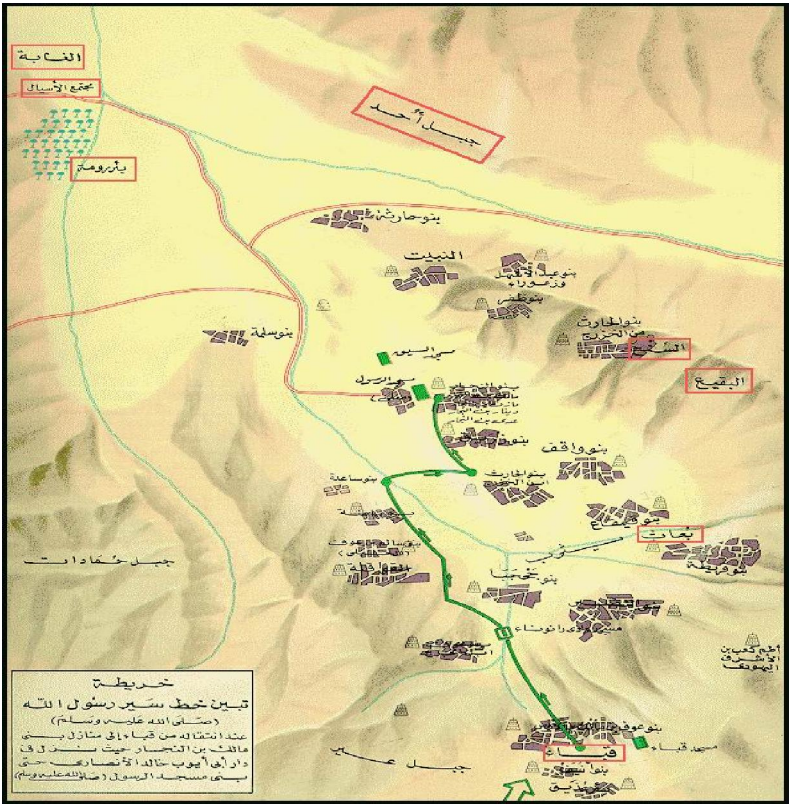

( ) http://www.hukam.net/maps_index.php?sel=1

اختلاف قدرة الشرائح

تختلف قدرة الشرائح من حيث التأثير في الفعل التغييري من شريحة لأخرى، فربما نجد شريحة كبيرة الحجم قليلة التأثير، وأيضًا ربما نجد العكس تمامًا، وهذه نقطة في غاية الأهمية لقادة الحركات، فربما تُشخص حركة من الحركات شريحة ما على أنها شريحة التغيير، ويتضح بعد ذلك أن هذه الشريحة تصلح فقط كشريحة بدء، وأقصى طاقتها هي نشر الأفكار والدعاية للحركة والتبشير بها، فشريحة الحسم والتغيير ربما تتكون من مجموعة من الطبقات، فينغي لقادة الحركات معرفة أنواع الشرائح، وتحديد وقت تداخلها في الفعل التغييري.

وننتقل لساحة أمريكا الجنوبية لنرصد تجربة الحركة التغييرية التشيلية، وكيف تعاملت مع الشرائح الاجتماعية من زواية التقسيم الثلاثي لشرائح الحركات البدء، وشريحة التغيير، وشريحة البناء.

تجربة الشعب التشيلي:

في الحادي عشر من سبتمبر لعام 1973م، استولى الدكتاتور التشيلي على السلطة من خلال انقلاب عسكري دموي ضد الرئيس المنتخب سلفادور أيندي، والذي قتل في الانقلاب، وخلال أشهر أودع عشرات الآلاف من المواطنين السجون، وأعدم أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

فبرز ناشط نقابي في العشرينيات من عمره باسم «رودوفر سيفيل»،

وكان قد انتخب رئيسًا لمؤتمر العمل الوطني، دعا المناضل سيفيل الشعب التشيلي للإضراب العام على مستوى البلاد، بالرغم من أن العشر سنوات الأولى من عمر النظام القمعي كانت خالية تمامًا من الإضرابات، وكان الهدف هو مجرد فتح أعين الناس وتشجيعهم على الخروج من حالة اليأس والخوف، وقبل أسبوع من موعد الإضراب العام قام جنود الدكتاتور بمحاصرة مناجم النحاس مبدين استعدادهم لقمع أي عمل تظاهري بين العمال.

- مع نهاية عام 1986م أصبح احتمال اندلاع حرب أهلية شاملة واردًا، ووجد الناس أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما تبني العنف المضاد والعمل المسلح، وإما ابتداع أساليب ووسائل أخرى لمقاومة الدكتاتور.

- لاحت فرصة ذهبية أمام المعارضة السياسية، عندما دعا الدكتاتور إلى استفتاء عام على فترة أخرى من الحكم العسكري تستمر لمدة 8 سنوات، وأدركت القيادات السياسية والشعبية والنقابية أنهم قد يقدرون على هزيمة الدكتاتور بكلمة واحدة (لا)، ولكن الأغلبية منهم كانوا يعلمون مسبقًا أن الدكتاتور ينوي أن يزور الاستفتاء بكلِّ الوسائل غير المشروعة.

- استعدت المعارضة لخوض معركة الاستفتاء، وأعدت الخطط لمنع أي عمليات غش يوم الاستفتاء، وقامت بحملة توعية في كلِّ أرجاء البلاد، وسميت «حملة لا» التي تواصلت مع الناس من بيت إلى بيت،

ورفعت شعار: بوسع المواطن التشيلي قول كلمة «لا» بدون التعرض للانتقام.

وقد استطاعت أن توظف الفرص التي أتيحت لها في وسائل الإعلام ـ وخاصة التلفزيون ـ لتحقيق تقدم كبير في الحملة؛ فركزت الحملة على مسائل الحياة اليومية، والمشكلات المعيشية التي يعاني منها المواطن العادي.

– انتشرت فكرة أن الشعب التشيلي سيهزم الدكتاتور بقلم الرصاص، ورفعت الحملة الشعار التالي قبل يوم الاستفتاء: «لا» تعني «نعم» للديمقراطية!

– في مساء يوم الاستفتاء ظهرت النتائج الأولية بفوز «لا» بشكل حاسم، فأعلنت محطة إذاعية صغيرة مستقلة نتائج الاستفتاء، ولكن الدكتاتور لم يصدر أي نفي أو تأكيد، وفي منتصف الليل دخلت القوات التابعة للدكتاتور القصر، وصرح قائد القوات الجوية لبعض الصحفيين قائلاً: «يبدو أن لا قد انتصرت»، وفي غضون ثوان أذيع التصريح على الأثير، وكان بمثابة الرسالة الواضحة والتحذير الشديد للدكتاتور على ضرورة قبول النتائج والانصياع لرغبة الشعب التشيلي( ).

يتضح هنا قيمة ووزن الفئات النوعية داخل شريحة التغيير، فشريحة التغيير ليست كتلة مصمتة تتكون من طبقة واحدة جامعة مانعة لغيرها

( ) أحمد عبدالحكيم،هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث– بيروت – الدار العربية للعلوم 2007.

من الطبقات المختلفة، فشريحة التغيير يمكن أن تحتوي على خليط من الطبقات والشرائح والنقابات، وربما الأطباء.. وإلخ، لكن مجموعهم يمثلون «شريحة التغيير»، ويعتبرون رأس الكوبري الذي تمر عليه الحركة التغييرية نحو قمة المنتظم السياسيي في داخل الإقليم، وربما يكون جهد فئة صغيرة داخل شريحة التغيير هو المرجح لكافة الحركة كلها، وخاصة في الساعات الأخيرة من المشهد الحاسم، ويكون جهدها هو المتوج لنهاية الصراع، مثل تدخل الجيش في الحالة التشيلية.

المحور الثالث : الشريحة الذهبية

على صعيد التغيير الحادث الآن في العالم على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تظهر الكثير من الدارسات تغيرًا كبيرًا داخل المجتمعات والدول والشعوب، وبالتالي أيضًا تغيرًا في تقسيم الشرائح وأنواعها، فالشرائح في المجتمع الاشتراكي تختلف عن الشرائح في المجتمع الليبرالي.

الواقع العالمي المعاصر وخريطة الشرائح:

المجتمعات المنتقلة من المعسكر الاشتراكي إلى المعسكر الرأسمالي يعاد صياغتها، وتوزع الشرائح داخلها من جديد، فلم يعد من المفيد لقادة الحركات الاعتماد على النماذج النمطية في تقسيم شرائح وطبقات المجتمع، وإنما لا بدَّ من مراعاة الواقع الجديد الحاصل في تغير تركيبة المجتمعات والشعوب.

كثير من التجارب التي استعرضناها في الصفحات السابقة انطلقت من خلفية عمالية أو فلاحية (تجربة الشعب التشليي، وتجربة ماوتسي تونج في الصين، وتجربة غاندي في الهند)، ومع تغير النظام العالمي الحالي من عالم القطبين إلى عالم القطب الواحد، وظهور العولمة، وسياسات السوق الحر، ومنظمة التجارة العالمية، وبالإضافة إلى اتجاه كثير من البدان نحو الاقتصاديات القائمة على الصناعة، وعدم التركيز على الزراعة أو العكس أو المزواجة بين الصناعة والزراعة، مما ترتب علية تغيرات حادة في تقسمات الطبقات والشرائح داخل المجتمعات عبر قارات العالم المختلفة( )؛ فدولة مثل مصر اتجهت إلى ما يعرف بنظام الخصخصة، وبيع الشركات الحكومية الضحمة التي تشتمل على كتل بشرية عمالية كبيرة، مما أضعف الشريحة العمالية مقارنة بالمرحلة الناصرية، التي اعتمدت على الكتل العمالية والتجمعات الصناعية الكبيرة مناطق حلوان، المحلة الكبرى.. إلخ.

ولكن هناك شريحة ذهبية، كلما مرَّ الزمن ازدادت قوةً وعددًا عبر كل قارات العالم المختلفة، وهي شريحة الطلاب، وخاصة مَنْ هم في المرحلة الجامعية، فهذه الشريحة ارتفعت نسبتها في كثير من بلدان العالم، وخاصة في دول العالم الثالث، وتحديدًا في عالمنا العربي، وذلك وفق الاعتبارات التالية:

1- بنية السكان في الدول العربية هي «بنية شابة»، فالتركيب

( ) http://lucy.ukc.ac.uk/csacpub/russian/mamay.htm

العمري للسكان العرب أصغر سنًا في المتوسط من سكان العالم بأسره، فهناك نسبة كبيرة (38٪) للأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 عامًا، ونسبة صغيرة 6٪ للذين يبلغون 60 عامًا فما فوق.

2- الشباب في مصر الفئة العمرية (15-35 سنة) يشكلون 35٪ من إجمالي السكان، وفي السودان الفئة العمرية (15-30 سنة) يشكلون نسبة 41٪ من إجمالي حجم السكان، وفي فلسطين يمثلون 36،5٪، وفي الأردن يمثلون 30٪، وفي تونس يشكلون 30٪ من حجم السكان، وفي لبنان يشكلون 20٪ من إجمالي حجم السكان.

3- قطاع الطلاب يمثل نسبة كبيرة من فئة الشباب التي هي في زيادة، فكلما زادت نسبة الشباب ارتفعت معها نسبة الطلاب في المراحل الجامعية، فمثلاً نسبة الشباب في التعليم العالي في ليبيا يشكلون 52٪ من إجمالي عدد الطلاب في التعليم العالي، فلا بدَّ لقادة الحركات في منطقنا العربية من الوقوف على هذه الإحصائيات ومعرفة طرق الاستفادة من هذه الطبقة الآخذة في النمو والاطراد( ).

4- هناك زيادة في عدد الجامعات العربية، وهناك انتشار إقليمي كبير للجامعات داخل كل قطر عربي.

يبلغ عدد الجامعات العربية حوالي 150 جامعة مقارنة بنحو 57

( ) الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الشباب فى منظومة المجتمع المدني، القاهرة.2006،

جامعة في عام 1987م( ).

5- كما زاد عدد طلاب التعليم العالي العربي 210٪ مقارنة بعددهم في بداية الثمانينات من القرن الماضي.

وسوف نستعرض بعض تجارب الحركات التغيرية التى اعتمدت في مرحلة البدء على شريحة الطلاب الجامعيين، ونقف على مدى نجاح أو فشل طبقة الطلاب في توفير شرارة البدء للحركات التغييرية.

ولذلك هناك مدرستان مختلفتان في نظريتهم لأهمية شريحة الطلاب في حركات التغيير:

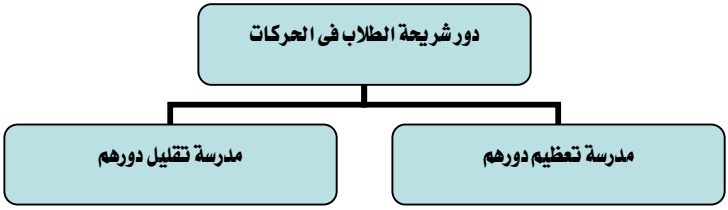

الشكل رقم (5)

المدرسة الأولى: تؤمن بإمكانية وقدرة شريحة الطلاب على المساهمة في إحداث تغيير عميق في المجتمعات، وذلك للاعتبارات التالية:

( ) http://www.afkaronline.org/arabic/archives/avr-mai2004/khedher.html

1- ثبت تاريخيًّا أن الطلاب لعبوا دورًا مهمًا خلال القرنيين الأخيرين في إطلاق حركات تغييرية عديدة في جميع أنحاء العالم؛ فلقد شكل الطلاب عنصرًا أساسيًّا في ثورات 1848م في ألمانيا والنمسا، وذهبت مظاهراتهم بحكم بيرون في الأرجنتين 1955م، وأسقطت جمينيز في فنزويلا 1958م، وصمدت لحكومة لدييم صمودًا ناجحًا في فيتنام 1963م، ونسفت حكومة راي في كوريا الجنوبية عام 1960م، وأكرهت أيزنهاور على أن يلغي زيارته لليابان في العام نفسه، وقوضت حكومة إبراهيم عبود العسكرية في السودان عام 1964م، وزعزعت حكومة سوكارنو في إندونيسا عام 1966م، وهددت قادة الحكم وأنظمة الحكم عام 1968م في أحداث مايو في كلٍّ من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وأسبانيا والبرازيل والأورجواي والسنغال والمكسيك وتركيا، واستطاعت في العام نفسه أن تفرض على نظام الحكم في مصر تغييرًا إداريًّا ووزاريًّا، وأن تحمل الحكومة في لبنان على إنشاء الجامعة اللبنانية. ومن أبرز الأحداث التي حركت الساحة الطلابية على مستوى العالم، وعمقت من توغل الطلبة في العمل السياسي هي الحرب الفيتنامية.

لقد كان الطلاب الأمريكيون هم أكثر القوى الاجتماعية فعالية في معارضة التدخل العسكري في فيتنام. ولقد أجبر الطلاب الأمريكيون على أن يفتح مفاوضات سلام مع فيتنام الشمالية.

2- شريحة الطلاب في كلِّ المجتمعات تتزايد ويتضاعف عددها يومًا بعد يوم، وكذلك تزداد المدة التي يمضونها كطلاب، بالإضافة إلى حيوية

الطلاب كشبان، وتعاملهم الجاد مع الأفكار والمفاهيم والرؤى السياسية، وتحررهم من أعباء الوظيفة والمعيشة وسهولة تنظيمهم والاتصال فيما بينهم.

3- الطلاب أكثر شرائح المجتمع مقدرة على التحرر الاجتماعي من الخلفيات العائلية والطبقية والإقليمية.

المدرسة الثانية: تتبنى رأيًا وسطًا، وهو عدم قدرة شريحة الطلاب وحدهم على إحداث تغيير في المجتمعات، وأن الطلاب يعانون من مشاكل تحول دون تأثيرهم في المجال السياسي، ذلك وفقًا للاعتبارات التالية:

1- الغالبية العظمى من الطلبة لا تهتم بالقضايا العامة، وهناك دراسات ميدانية تبين لنا أن نسبة الطلبة الذين يشاركون في نشاطات سياسية بشكل منتظم ومستمر تتراوح بين 4 : 8٪ فقط.

2- الطلاب لا يؤلفون وحدة يمكن تسميتها حركة، بل واضح تمامًا أن الطلاب يؤلفون مجموعة من الحركات المتناقضة.

3- العائق الثالث: قسم كبير من الطلاب الناشطين يرتبطون بأحزاب وتنظيمات وحركات خارج الجامعة، وليس هذا خطأ، ولكن الخطأ يتولد عندما تكون هذه الروابط على حساب الحركة الطلابية ووحداتها وتلاحمها( ).

( ) عبدالله فهد النفيسي: دور الطلبة فى العمل السياسي، الكويت، 1986م.

وسوف نستعرض ثلاث تجارب تغييرية حديثة من ثلاث قارات مختلفة من أوروبا وأسيا وأفريقيا كان للطلاب فيها دور الريادة والسبق على شرائح المجتمع الأخرى، ودون التعرض لتفاصيل كل حركة من حيث بلوغ الأهداف أو عدم بلوغها، نركز فقط على شرارة البدء من زواية أن الطلاب كانوا هم الفاعلون في مرحلة البدء (شريحة البدء).

التجربة الصربية:

- بدأت حركة أتبور في جامعة بلجراد في أكتوبر سنة 1998م بعدد من الطلبة الشباب الذين لا يتجاوز عددهم في البداية عشرين شابًّا، ولا تتجاوز أعمار أغلبهم العشرين عامًا، وجاءت بدايتها بعد فترة القصف الأمريكي الذي استمر 78 يومًا متواصلاً على بلجراد؛ بسبب حربها على الإقليم البوسني، والتي مارست فيه بلجراد حملات تطهير عرقي واسعة.

- وكانت هذه المجموعة من الطلاب تمثل شريحة بدء، قررت الوصول إلى شريحة التغيير (عامة الجمهور).

- تبنت المجموعة اسم «المقاومة» باللغة الصربية، واختاروا شعارًا في غاية البساطة والوضوح «قبضة اليد»، وكان ذلك الشعار رمزًا للتضامن والإصرار على المضي في طريق المقاومة.

- المرحلة الأولى من تأسيس الشبكة الرئيسية لمنظمة المقاومة أخذت ما يقارب عامًا كاملاً، ولكنها نمت بسرعة فائقة بعد توقف

القصف الأمريكي.

- بدأت المجموعة نشاطاتها البسيطة بعد اجتماعاتها في المقاهي والحدائق والأماكن العامة، ونجحت في العام 2001م في إسقاط نظام «سلوفنس ملوسفيش» المستبد( ).

تجربة الحركة الإسلامية السودانية:

- البنية التنظيمية وسياسات الحركة:

- سيادة روح المؤسسية، فقد نشأت منذ البدء على أيدي فريق من الشباب عبارة عن مجموعة من الطلاب، لا يدين بعضهم لبعض بأستاذية أو مشيخة، فسادت ظاهرة «الشعور بالندية والمساواة بين مؤسسي الحركة، حتى إنه لم يكن يُعرف للحركة رئيسًا في أيامها الأولى»، ثم تحولت الحركة إلى مؤسسة من الأجهزة بعد ذلك.

- **ثقافة الحركة:**

(دمجت بين فكر جماعة الإخوان المسلمين في مصر، والجماعة الإسلامية في باكستان، كما تأثرت في تكوين بنيتها بالحركة الشيوعية، كذلك انتفعت كثيرًا من فكر التنظيم الأوروبي وتجاربه؛ فلم تستغن عن أحدث ما وصل إليه الفكر الغربي في الإدارة والتنظيم، فكان التنظيم

( ) أحمد عبدالحكيم، هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث- بيروت – الدار العربية للعلوم 2007م.

قادرًا على الدخول في صراع سياسي.)

- **الشكل المتجدد للتنظيم:**

إنَّ فلسفة الحركة أنبنت دائمًا على خدمة المقصد، والتضحية بالأشكال متى دعت الحاجة إلى ذلك، وكان ذلك سببًا من أسباب قوتها وحيويتها، فبدلت نظمها طورًا بعد طورٍ، وصرفت وظائف من العمل إلى محاور مستقلة عن أطر التنظيم العام، حتى دفعت بجماعتها كلها أن تنخرط في هيئة أكبر هي «الجبهة الإسلامية القومية»، وقد اتضح منهج الحركة بهذا الشأن حين أعلنت ـ شكليًّا ـ حل نفسها عام 1980م، وانضمام أعضائها إلى «الاتحاد الاشتراكي السوداني»؛ ثمنا لصلحها مع النميري.

- **أهم الشرائح التي استهدفتها الحركة السودانية:**

الطلاب: كانت الحركة دائمًا أكثر تحيزًا لهذه الطائفة، وكان من ثمرات ذلك أن ضمن العمل الطلابي لها قيادةً ووجودًا سياسيًّا نوعيًا، يضاهي التكاثر الكمي الذي اتسمت به الأحزاب التقليدية، وقد اتضح ذلك في انتخابات 1986م، حينما «فاز الإخوان بـ 23 مقعدًا برلمانيًّا من أصل 28 مقعدًا مخصصة للخريجين».

وتبنت استراتيجية جديدة تفصل بين مجالات السر والعلن بشكل حدي صارم، يحصر الإسرار في نواة قيادية صلبة، وفي أجهزة محدودة مكلفة بمهام مخصوصة، ثم يترك الهيكل الحركي العام واسعًا فضفاضًا،

قادرًا على استيعاب أكبر عدد من الناس، بمن فيهم الذين يوالون ولاءً ناقصًا، أو تجمعهم مع الحركة أهداف ظرفية جزئية.

وقد أفاد هذا النهج الحركة إفادات عظمى، منها:

- تسهيل مهمة الاكتساب من خلال انفتاح الحركة على المجتمع، وإدراك المجتمع لمضمون رسالتها وأهدافها، وهو ما لن تتمكن منه أي حركة تحبس نفسها في أجواء التوجس والانغلاق.

- كسر حاجز العداء بين الحركة والآخرين، حيث يعتقد قادة الحركة أن «سبب عداء أعدائها ناتج عن ضآلة ما يعرفونه عنها، لا ضخامته».

- تمكين الحركة من الإسهام الجدي في المعركة السياسية، وهو ما لم يكن ممكنًا بدون كم بشري كبير، ولا كم بغير انفتاح وتفاعل مع المجتمع، والرضا من كلٍّ بما يجود به.

- تأمين أسرار الحركة من خلال المظاهر المعلنة الطاغية، التي تستنزف طاقة العدو، وتلفت نظره عن الأسرار الحقيقية.

وهكذا أدركت الحركة أن رسالتها في الالتحام بالشعب، وأمنها الحقيقي في اتساع قاعدتها لا في تخفيها؛ فأثبتت أن انفتاحها الذي - اشتهرت به - لا يضر أمنها، بل يخدمه في النهاية.

بسط الحرية في تربية الجماعة الثقافية:

فلا التعليم فيها تلقين يصب العضو في قالب نمطي واحد، ولا الفكر فيها إلزام بمذهب معين أو مصدر مخصوص، أو حظر للإبداع والاجتهاد، ولا الطاعة فيها تلق سلبي، وانصياع أعمى، «فمغزى التربية هو إلهام كل عضو حريته ومسئوليته، لينافس المنافسين»، فكان الاقتصاد في الأوامر الملزمة، وحصرها في الأمور الاستراتيجية الحساسة، بينما أصبحت صيغة التوجيه هي الغالبة، لا روح الأمر والإجبار والسلطان الوضعي».

الاهتمام بالمجالس الاستشارية:

حيث اهتمت بما يسمَّى في الدول المتقدمة «لجان التفكير» (Think Tanks)؛ لتطرح الرؤى المستقبلية، وتستخرج الأخطاء من المسار التاريخي( ).

تجربة طالبان:

النشأة والتكوين العرقي:

الاسم: هي «الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية» الذين كانوا يدرسون في باكستان، وعُرفوا باسم «طالبان»، وهي كلمة أفغانية معناها الطلبة.

( ) محمد بن مختار الشنقيطي: الحركة الإسلامية فى السودان، لندن.

العَلَم: أبيض تعلوه كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

النشأة: حسب كلام الملا محمد عمر مجاهد – أمير طالبان – تبدو نشأة طالبان نشأة عفوية، وتدخلت في ذلك عدة عوامل داخلية مثل: الحرب الأهلية، والمذابح المروعة بين السنة والشيعة، والفوضى والفساد الأخلاقي، كما كان هناك عوامل خارجية ساعدت على نشأة طالبان مثل: رغبة باكستان في إيجاد بديل أقوى من حكمتيار الزعيم الأفغاني المعارض لحكومة الرئيس برهان الدين رباني وأحمد شاه مسعود، وكذلك تشجيع الولايات المتحدة لهذه الحركة للحد من امتداد النفوذ الإيراني، وضرب الأصولية الأفغانية التقليدية بأصولية أشد ينفر منها المجتمع الدولي بأكمله.

وقد نشأت حركة طالبان في منتصف عام 1994م بولاية قندهار جنوبي أفغانستان، ثم ظهرت إعلاميًّا في أكتوبر 1994م، حينما هبت لنجدة قافلة باكستانية متجهة إلى آسيا الوسطى عبر الأراضي الأفغانية، وكانت مجموعات أفغانية مسلحة أوقفتها، وسرعان ما سيطرت الحركة على الولايات الجنوبية، وزحفت على كابول في مارس 1995م، غير أنها بقيت خلف أبوابها حتى 27 سبتمبر 1996م حينما دخلتها بعد انسحاب قوات مسعود منها، واستمرت الحركة في زحفها نحو الشمال، غير أنها تكبدت خسائر كبيرة، أهمها تلك التي منيت بها في مدينة مزار شريف في أغسطس 1997م، حينما تمَّ أسر أكثر من 8000 من

عناصرها، وتم قتلهم فيما بعد، لكنها استطاعت بعد عام أن تسيطر على مدينة مزار شريف، وتنتقم لقتلاها بقتل أكثر من 3000 من الشيعة، وبقية الأقليات هناك، واستطاعت وقتها أن تسيطر على 90٪ من البلاد تقريبًا.

الأهداف والأفكار والتصورات:

أهداف طالبان: إقامة حكومة إسلامية على نهج الخلافة، واختيار العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب الهامة في الدولة، والتركيز على حجاب المرأة وإلزامها به، فضلاً عن قمع الجرائم الأخلاقية، وإعداد جيش مدرب لحفظ الدولة الإسلامية من الاعتداءات الخارجية، وتعيين هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء الدولة، وأسلمة الاقتصاد بما في ذلك جمع الزكاة والعشر وغيرهما وصرفها في المشاريع الإسلامية.

القيادة والتنظيم:

لا تتمتع حركة طالبان بتنظيم قوي، فليس عندها هيكل إداري واضح، ولا لوائح تنظم شئونها وبرامجها، ولا برامج لتربية أعضائها، ولا بطاقات عضوية توزع على الأعضاء لتسجيلهم، ومن ثم، فإن طالبان لا تؤمن بنظام الأحزاب، بل تريد الحركة أن تخدم الشعب كله عن طريق تفعيل الدوائر الحكومية.

القيادة: تتمثل في ملا محمد عمر «أمير المؤمنين»، الذي اختارته

طالبان أميرًا لها في أغسطس 1994م، والذي عُيِّن رسميًّا ولُقِّب بـ«أمير المؤمنين» في 1996م بعد وصول طالبان إلى مشارف كابول، ومنذ ذلك اليوم، تعتبره طالبان أميرًا شرعيًّا، له في نظرهم جميع حقوق الخليفة، ومن ثم، فلا يجوز مخالفة أمره، وهو الأمر الذي أعطاه صبغة دينية، وقد حجبته الحركة عن أنظار العامة ليحافظوا على هيبته بينهم، وربما ليخفوا جوانب ضعفه كما تردد بعض التقارير، لذلك فإنه لا يشارك في الاجتماعات العامة، ولا يظهر كثيرًا.

وهو في أواخر الثلاثينيات من عمره، ومن المجاهدين السابقين ضد الاحتلال السوفيتي، وفقد إحدى عينيه في الجهاد، ولم يكمل دراسته حتى الآن، وهو يدير أمور دولة أفغانستان وحركة طالبان من ولاية قندهار جنوب البلاد (كانت مدينة قندهار عاصمة أفغانستان في بدء تشكيلها 1747م إلى أن قام الملك تيمور شاه بنقل العاصمة إلى كابول عام 1771م).

عوامل التماسك الداخلي في حركة طالبان: الخلفية الفكرية الموحدة، الإخلاص لأهدافهم، السيطرة الروحية للأمير على الأفراد، عدم وجود شخصيات محورية ذات نفوذ قوي في الحركة، العقوبات الفورية الرادعة، التغيير المستمر في المناصب، هيبة الحركة في قلوب الأفراد، الترابط العرقي حيث معظمهم من العرق البشتوني( ).

( ) مولوي حفيظ الله حقاني: طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، إسلام آباد: معهد الدراسات السياسية، 1997م.

نكون بذلك قد عرضنا ثلاث نماذج طلابية فاعلة في حركات التغيير المعاصر، منها اثنان في المنطقة العربية والإسلامية (طالبان، والحركة الإسلامية السودانية)، وواحدة فيما يعرف بـ «أوربا الشرقية»، تفيد بتجدد حيوية الشريحة الطلابية في الفعل التغييري عبر الزمن والمكان.

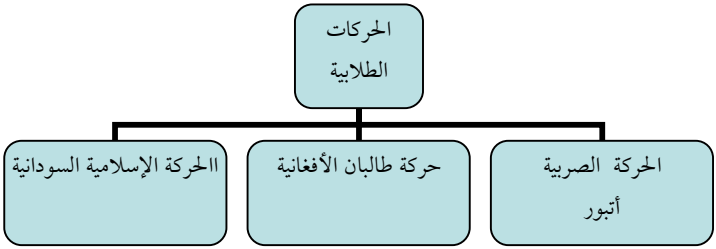

شكل رقم (6)

المحور الرابع: استيراد الحلول والاستراتيجيات:

أحيانًا بعض الحركات تتغافل عن الواقع الداخلي القائم، من خلال تبني استراتيجيات جاهزة لحركات من خارج الإقليم، وتحاول استنساخها بكامل حذافيرها، دون مراعاة لشخصية الإقليم الذي تعمل فيه، والذي يختلف عن شخصية الإقليم الذي نجحت فيه الحركات الخارجية.

فكلما كانت الحركات تحسن التعامل مع الواقع الداخلي من حيث معرفة خريطة الشرائح الاجتماعية والسكانية، وتبني استراتيجيها بما يتناسب معه، كلما كانت فرص نجاحها أكبر من الحركات التي تتبنى

استراتيجيات جاهزة من خارج الإقليم لا تنسجم وخريطة الشرائح السكانية فى الإقليم، وتحاول تطويع شخصية الإقليم لصالح الاستراتيجيات المستوردة.

وهذا ما حدث للتجربة الصينية في مهدها، عندما وقعت في أسر التجربة الاشتراكية الروسية، وحاولت تطبيق استراتيجيتها، من حيث اعتمادها على شريحة العمال فقط، واعتبارهم الشريحة الوحيدة القادرة على إنجاح الثورة الاشتراكية في الصين، ولكن هذه الاستراتيجية اصطدمت مع شخصية الإقليم الصيني الذي يفيض بالفلاحين وليس بالعمال (بلغ نحو 500 مليون فلاح مقابل 4 مليون عامل)، فكان ذكاء من «ماو» أن يعتمد على هذا المخزون الضخم من الفلاحين دون العمال، ومن هنا ندرك فضل القائد كـ«ماو تسي تونج» عندما تحرر من أسر التجربة الروسية، ووضع استراتيجية جديدة تتوافق مع الواقع الصيني، رغم أن هذا كلفه الطرد من الحزب الشيوعي الروسى والصيني في أول الأمر.

المحور الخامس: الحركات المهاجرة

ومن خلال استقراء تجارب الحركات التغييرية ـ سواء الساخنة التي استعملت القوة للوصول لأهدافها، أو تلك التي استعملت النضال الدستوري (الانتخابات)، أو التي استعملت النضال فوق الدستوري (حركات اللاعنف)، أو التي جمعت بين كل هذه المتناقضات في كفاحها

ضد خصومها المعاندين ـ نكاد نجزم بأن من أهم العوامل التي ساهمت بقوة في نجاح هذه الحركات هي استيعاب قادة هذه الحركات لشخصية الإقليم الذي تحركوا فيه، ومن خلال الالتحام الاستراتيجي بين أهداف الحركة وأشواق الجماهير والشعوب التي تمثل شريان الحياة لهذه الحركات؛ فكلما كانت الحركة تمثل أحلام وأشواق سكان الإقليم وتعمل من أجلهم، دون الارتباط بأي أجندة خارجية تتجاوز الإقليم ومصالحه، كلما كانت قناعة الجماهير بها أكثر، عكس الحركات التي يبدو من استراتيجتها وتكيكتها الارتباط بأجندة تتعدى حدود الإقليم وطاقته، ولذلك استراتيجية استيراد قادة وحركات من خارج الإقليم (حركات مهاجرة) لمساعدة الحركة الوطنية المحلية فكرة بالغة الخطورة، وعالية المخاطر على الحركة الوطنية قبل مرحلة الحسم، وأيضًا بعد مرحلة الحسم، فغالبًا القادة التغييرين والحركات التغييرية القادمة من خلف الحدود الإقليمية يأتون من خليفة إقليمية مختلفة كمًّا ونوعًا عن الحركة الوطنية بنت الإقليم، وعلى الرغم من صدقهم في المشاعر والداوفع من حيث رغبتهم في تقديم دعم للحركة الوطنية، إلا أنهم تنقصهم أدوات أساسية تحول دون بلوغهم أهدافهم، فأول هذه الأدوات الناقصة لديهم، هي فهم الشخصية الإقليمية بكل محاورها (سيكولوجية السكان وحجمهم والذاكرة التاريخية لهم، وتوزيع الطبقات الاجتماعية والأعراق والأجناس داخل الإقليم) مما ينعكس على الأداء بشكل كبير، وربما يفجر أزمات للحركة الوطنية لم تكن في

حسبانها، وتسبب الضرر للحركة الوطنية من حيث أرادت النفع والدعم لها، ويساعدنا فى توضيح هذه الفرضية استعراض بعض التجارب التغييرية التى لم يكتب لها النجاح أو التى ربما تعثرت بسبب إشكالية استيراد الحلول والحركات.

الثورة الاشتراكية:

جاء تشي جيفارا إلى بوليفيا (عام 1966م) ليحدث ثورة شعبية تعتمد على الفلاحين في البلاد، وعلى عمال المناجم البوليفيين ضد النظام الرأسمالي الموجود في بوليفيا، شجعه على هذه الخطوة النجاح الكبير للثورة في كوبا ضد النظام الرأسمالي، والذي مثل جيفارا وفيدل كاسترو فيها حجر الزواية، وأراد أن يعتمد على نفس «تكنيك» الثورة الكوبية (حرب عصابات)، وهذه الخطوة لم توافق عليها الحركة الوطنية الثائرة في بوليفيا (الحزب الشيوعي البوليفي)، وظهر التنافر بين استراتيجية الحزب الشيوعي واستراتيجية الثائر جيفارا القادم من خارج الحدود، ولكن بعد وقت يسير من خوض الصراع مع النظام البوليفي فشل رجال العصابات في بوليفيا بقيادة جيفارا في أن يصبحوا جزءًا من حركة اجتماعية متعددة الرءوس تشمل الفلاحين وعمال المناجم والشرائح الفقيرة في البلاد، وأصبح جيفارا في أيامه الأخيرة في حالة يرثى لها من الحزن والسخط على عدم قيام الطبقة العاملة في المناجم

بانتفاضتها( )، التي كان يأمل في أن يكون حافزًا لها.

(كان الحزب الشيوعي قوي النفوذ وسط عمال المناجم في بوليفيا)، وكانت الانتفاضة ستمنح رجال حرب العصابات تأثيرًا أقوى بكثير جدًّا فعليًّا، تغلب عمال المناجم على تحفظ الحزب الشيوعي، ودخلوا في إضراب، ولكنه كان صغيرًا جدًّا، وجاء بعد فوات الأوان، اضمحلت العصابات، وتمنى «تشي» ولو مجرد مدد من 100 رجل؛ حيث إن مثل هذا الرقم فضلاً عن كونه هزيلاً جدًّا (كما كان يعتقد) إلا أنه ربما كان سيمثل قبلة الحياة للثوار من أجل التقاط الأنفاس، وترتيب الصفوف، والتواصل مع الشرائح الاجتماعية المقصودة( ).

في صيف 1967م: تمَّ التقاط رجال حرب العصابات واحدًا تلو الآخر، أجبر تشي والرجال الباقين ـ وبدون أي مدد إضافي بقوات ثورية ـ على التعامل مع الحقيقة، على الأقل في بوليفيا في تلك اللحظات، وهي أن استراتيجيتهم في العمل على تحفيز انتفاضة ثورية قد فشلت، ومع إرسال حكومة الولايات المتحدة، تحت رئاسة الديموقراطي لينـدون جونسون، مستشاريها العسكريين والأسلحة للطغمة العسكرية البوليفية، أصبح الأمر مجرد مسألة وقت (أشهر قليلة) قبل أن يهزم الكفاح هزيمته النهائية، ويتم استئصال رجال حرب

( ) جون جيراسي، «Venceremos! خطابات وكتابات تشي جيفارا» المقدمة، سايمون وشوستر، ص 14.

( ) http://www.islamonline.net/arabic/famous/2001/11/article3.shtml
http://www.moreorless.au.com/heroes/guevara.html

العصابات بالكامل، ويقتل جيفارا نفسه في «قرية لاهيجوير».( )

فعلى الرغم من توفر القائد المحنك المحترف تشي جيفارا صاحب التاريخ الذهبي في الثورة الكوبية، والمحترف في تكنيكات حرب العصابات، لم تفلح تجربته في دولة بوليفيا المجاورة، وذلك يرجع للاعتبارات التالية:

1- الاختلاف الاستراتيجي بينه وبين قادة وأعضاء الحزب الشيوعي في بوليفيا، مما حرم حركة حرب العصابات من الدعم اللوجستيي، وخاصة من عمال المناجم والفلاحين الذين يتملك الحزب الشيوعي زمام المبادرة وسطهم.

2- راهن جيفارا على استجابة شرائح الفلاحين والعمال البوليفيين لثورته، قياسًا على تجربته في كوبا، وأغفل اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية بين كل من كوبا وبوليفيا.

3- وجود جيفارا في الساحة البوليفية حرض القوى الدولية المعادية لمعسكر اليسار الثوري (الولايات المتحدة) والخائفة من تمدد هذا التيار في أمريكا اللاتينية ـ على زيادة الدعم التقني والفني لقوات النظام البوليفي، مما ضيَّق الخناق على رجال حرب العصابات بقيادة جيفارا.

( ) جون جيراسي، «Venceremos! خطابات وكتابات تشي جيفارا، » المقدمة، سايمون وشوستر، ص 14.
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3605000/3605182.stm

القاعدة ضدُّ حركة طالبان والمقاومة العراقية:

استراتيجيتان إسلاميتان تتواجهان:

من الصومال إلى أفغانستان، ومن العراق إلى لبنان، مرورًا بفلسطين، يرتسم هلال الفوضى الذي من خصائصه إضعاف الدولة والدور المتزايد للجماعات المسلحة المزودة بأسلحة فعَّالة (خاصةً بالقذائف الصاروخية والصواريخ)، والفالتة من أي سيطرة لأي مركز، وقد أضحت هذه المناطق، بالنسبة للولايات المتحدة، هي المسرح الرئيسي «للحرب العالمية الثالثة»، و«للحرب ضد الإرهاب»، ويغذي هذا المنظور استراتيجية تنظيم «القاعدة» الذي يخوض صراعًا مميتًا «ضد الصليبيين واليهود».

ولكن هذه الخطابات المختزلة لا توضح فعليًا الواقع الأكثر تعقيدًا على الأرض، فنحن نشهد في العراق تعبئةً لجزء من المقاومة السنية ضد انحرافات تنظيم القاعدة.

وفي أفغانستان: جرت مواجهات عنيفة بين حركة «طالبان» وبين مقاتلي القاعدة الأجانب؛ فالطرف الأوَّل يفضل استراتيجية وطنية، (والبحث عن تفاهم مع السلطة الباكستانية)؛ أما الطرف الثاني فهو يدعو إلى قلب الأنظمة الإسلامية القائمة،

حادثتان وقعتا منذ وقت قريب تجسدان الخلافات المتنامية ضمن الحركات الإسلامية المسلحة، ففي جنوب وزيرستان، وهي منطقة قبلية

في باكستان على الحدود الأفغانية، نفَّذ عدد من المنتمين المحليين إلى حركة طالبان في مارس 2007م مجزرة استهدفت محاربين أجانب تابعين لحركة أوزباكستان الإسلامية المنطوية تحت راية تنظيم القاعدة، وفي نفس الوقت تقريبًا وقعت معارك شرسة بين الجيش الإسلامي في العراق، والفرع المحلي للقاعدة، هكذا تزداد المواجهة احتدامًا بين استراتيجيتين ومفهومين مختلفين للجهاد الإسلامي.

خلال ثلاثة أعوام، بين (2003 و 2006م) أدى تعقيد الوضع على هذا المسرح الكبير للحرب - الذي يشمل وزيرستان الشمالية والجنوبية، وأفغانستان والعراق ـ إلى تعزيز التأثير العقائدي للقاعدة، وإسكات المجموعات المحلية؛ ففي وزيرستان الشمالية والجنوبية، ساهم أنصار القاعدة في ظهور دويلات إسلامية خارجة عن إطار الشرعية في باكستان، تغذي عمليات مسلحة في المراكز الدينية الكبيرة، غايتها المثلى هي دفع انتفاضة تقلب ضد نظام إسلام أباد العسكري الموالي للغرب، وردًّا على ذلك نفَّذ الجيش الباكستاني عمليات دامية؛ إذ تمَّ قتل المئات من غير المحاربين من بينهم نساء وأطفال، وهو ما ساهم في تغذية سخط الأصوليين.

ولكن حتى في تلك الفترة، كان العديد من قادة طالبان يقرون في مجالسهم بأن أنصار القاعدة يضلون الطريق بتخليهم عن الاستراتيجية التي تقتصر حصريًا على معاداة الغرب، والتي نادى بها السيد أسامة بن لادن في التسعينيات، وبأنهم يخطئون في تحويلهم حرب المقاومة الوطنية

ضد الاحتلال الأجنبي إلى هجوم على السلطة العسكرية في باكستان.

وفي العراق أصبح أبو مصعب الزرقاوي، هو المسئول الأبرز للمقاومة، وكان قد غادر وزيرستان للالتحاق بهذا البلد عشية الاجتياح الأمريكي، وقد أعلن الزرقاوي ولاءه علنًا للسيد ابن لادن، واجتمع حوله مجموعة من المجاهدين، أغلبهم من الأجانب، وألفوا الفرع العراقي للقاعدة، وسرعان ما أضحى الوضع في العراق شبيهًا بالوضع في وزيرستان وأفغانستان.

بعد سقوط صدام حسين، احتاجت قوى المقاومة المحلية إلى بعض الوقت للتحرك؛ إذ كانت بحاجة إلى عدة أشهر لتنظيم مختلف القبائل والمجموعات الدينية المنقسمة وعناصر البعث (الحزب السابق لصدام حسين) وضباط الحرس الجمهوري ضمن وحدات قتالية فعالة، وفي غضون ذلك ألف المحاربون الأجانب ـ الذين تقاطروا من كافة أقطار العالم المسلم تحت الرايات السود للقاعدة ـ مجلس شورى، وبرهنوا عن فعالية لم تكن تمتلكها بعد المجموعات المحلية، وفي وسط تلك الظروف، لم يكن هؤلاء أبدًا قادرين على إبداء التعبير عن تحفظهم لتجاوزات القاعدة.

لكن مع إعلان القاعدة في نهاية عام 2006م عن إنشاء إمارة (طاهرة عقائديًا) في العراق، كانت استراتيجية المجموعات المحلية قد أصبحت متناقضة مع إستراتيجيات القاعدة ونتج عن ذلك إشتباكات دامية بين المحاربين الدوليين والمقاومة المحلية( ).

( ) LEmonde.diplomatique ,july-53annee-no640

وهـذا النمـوذج في المنطقـة الإسـلامية يؤكـد لنـا مـن جديـد فـشل استراتجية استيراد الحركات (الرجال)، واستيراد «التكتيكات».

شروط نجاح التوافق بين الحركة الوطنية والحركة المهاجرة:

ومـن خـلال دارسـة بعـض التجـارب التغييريـة المعاصـرة ظهـرت شواهد تدلل على إمكانية التوافق بين الحركة الوطنية والحركة المهـاجرة، ولكن عبر صـعوبات وشـروط دقيقـة تـشبه إلى حـد كـبير الـصعوبات المصاحبه لعمليات زرع الأعضاء فى الجسم البشرى وما ينتج عنهـا مـن صعوبات من أجل تثبيت العضو الجديد فى الجـسد ،سـتظهر لنـا بعـض هذه الشروط من خلال عرض بعض هـذه التجـارب، ونبـدأها بتجربـة المشروع الإسلامي بقيادة الرسول ﷺ.

النموذج النبوي:

قدوم القيادة متمثلة في الرسول ﷺ والمهاجرين من مكة إلى المدنيـة، والتلاحم بينهم وبين القيادة المحلية في المدنية (الأنصار)، والنجاح الكـبير الذي حققه المشروع الإسلامي، انطلاقًا مـن المدنيـة المنـورة ـ يعـد بمثابـة الاستثاء الذي يؤكد القاعدة.

ونجاح هذه التجربة إنما يرجع إلى جملة من الـشروط العديـدة، منهـا التواصل الكثيف بين قيادات الحركة الوطنية وقيادات الحركات الوافـدة، وخاصة قبـل قـدومها للميـدان والاتفـاق علـى كامـل الاسـتراتيجيات

و«التكتيكات» وآلية اتخاذ القرار، والصلاحيات المخولة لكل طرف، مثل قرار الحرب والسلام والتعاهد.. إلى غيرها من القرارات المفصلية (بيعة العقبة الثانية بين الرسول ﷺ والأنصار).

بيعة العقبة الثانية: وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمسمائة، والتقوا بالرسول ﷺ هناك في الدار التي كان نازلاً فيها، وهي دار عبد المطلب، وكان معه حمزة وعلي والعباس.

وبايعوه على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وأن يأووهم وينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم، وتدين لهم العجم، ويكونون ملوكًا.

وعند آخرين - والنص لمالك - عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول (أو نقوم) بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم». قال السيوطي: «يريد الملك والإمارة».

وقد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، ولا سيما من قوله ﷺ: «وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكًا»، وأنهم مقدمون على مواجهة ومقاومة، ليس فقط مشركي مكة أو الجزيرة العربية، وإنما

القوى الدولية ايضا فى ذلك الوقت ، فأحب أن يستوثق من الأمر، ويفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا نعلم أن الأمر ينتهي إلى هذا لم نقدم؛ فقال لهم: «يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض، وعلى حرب ملوك الدنى؛ فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه، فلا تغروه، فإن رسول الله ﷺ ـ وإن كان قومه خالفوه- فهو في عزٍّ ومنعةٍ( ).

كارت المهام:

في الجيوش النظامية يتم تقسيم المهام بدقة بين قطاعات الجيش المختلفة؛ بما يضمن تناغم الأداء، ويحول دون حدوث اشتباكات بين قطاعات الجيش الواحد (مصطلح ما يعرف بالنيران الصديقة)، ويصل توزيع المهام لكل فرد من أفراد الجيش، وبحيث يتوفر لكل جندي كارت المهام، يوضح له الدور المطلوب منه تحديدًا دون غموض، فما حدث في هذه التجربة يقترب بدرجة قربية من مصطلح «كارت المهام» بالمعنى المعاصر.

فيتضح من نصوص هذه الاتفاقية السياسية مدى وضوح المهام والأدوار وتحديد المكاسب والتحديات بدقة عالية، مما حال دون نشوب صراع داخلي في المدينة بين القيادة المهاجرة (الرسول ﷺ + المهاجرين)، وبين القوى الوطنية المحلية (الأنصار)، مما ساهم في ضمان الاستقرار

( ) صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، المنصورة، دار الوفاء، 2004م.

والأمن الداخلي للمشروع الإسلامي في المدينة، هذا بالإضافة لما يعرف بدستور المدينة الذي وضعه الرسول ﷺ عندما وصل للمدينة، والذي مثَّل عقدًا اجتماعيًّا جديدًا ينظم العلاقة بين شرائح المجتمع المختلفة.

في المحصلة النهائية، نجاح ما يعرف بـ «الحركات المهاجرة» التي تنتقل للعمل خارج بيئتها الجغرافية يتطلب إعداد للمسرح (الاستراتيجيات) قبل الدخول في أتون «التكتيكات» وحركات ردِّ الفعل، والتي غالبًا ما تدفع في اتجاه الاختلاف الاستراتيجي والتكتيكي بعد ذلك.

ملخص الفصل الأول

- Û لا نجاح لحركات التغيير إلا بفهم شخصية الإقليم الذي تنشأ فيه.
- Û لا نجاح لحركات التغيير إلا بفهم ديمرجرافيا الإقليم الذي تعمل فيه.
- Û لا بدَّ لحركات التغيير من شرائح ثالث (شريحة بدء، وشريحة تغيير، وشريحة بناء).
- Û يلزم لحركات التغيير معرفة خريطة الشرائح السكانية فى الإقليم الذي تعمل فيه.
- Û شريحة الطلاب هى الشريحة الذهبية التى تزيد ولا تنقص.
- Û المعادلات الذهبية:
  - حركة تغييرية + فهم لشخصية الإقليم = نجاح للحركة
  - حركة تغييرية – فهم لشخصية الإقليم = فشل للحركة
  - حركة تغييرية + معرفة خريطة الشرائح السكانية = نجاح للحركة
  - حركة تغييرية – معرفة خريطة الشرائح السكانية = فشل للحركة
  - حركة تغييرية + الشرائح الثلاث (بدء وتغيير وبناء) = حركة مرشحة للنجاح
  - حركة تغييرية + شريحة بدء فقط = مشروع خيري

الفصل الثاني

(لقد ناضلنا خلال عقود من الزمان من أجل مجتمع غير مميز عنصريًّا، غير مميز جنسيًّا، وحتى قبل وصولنا للسلطة في الانتخابات التاريخية عام 1994م، كانت رؤيتنا للديمقراطية محكومة بمبادئ من بينها مبدأ يقول: إنه لا يجوز أن يتعرض أي شخص أو تتعرض أي مجموعة من الأشخاص للاضطهاد أو الإخضاع أو التمييز بسبب العرق أو الجنس أو الأصل الإثني أو اللون أو العقيدة، وما إن وصلنا إلى السلطة حتى قرَّرنا اعتبار تنوع الألوان واللغات مصدرًا للقوة) ( ).

نلسون مانديلا

الحائز على جائز نوبل للسلام

عام 1993م

( ) تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004.

الفصل الثاني:

لا بدَّ لحركات التغيير أن تحسن التعامل مع الثلاثية الحساسة (العرق والدين واللغة)

ثلاثية العرق والدين واللغة:

تعاني أقاليم عدة في عالمنا المعاصر من عدم التجانس (heterogeneity) أو التنافر البشري على رقعتها، ويبدو ذلك في عدة مظاهر أبرزها ما يعرف بـ«التعدد العرقي»(polytechnic) ، حيث تتعدد المجموعات العرقية واللغوية والدينية داخل الإقليم (الدولة) الواحدة( )، وهذا أيضًا ينعكس على الحركات العاملة فى هذه الأقاليم.

تعريف مفهوم (العرق، الجنس): اصطلاح علمي غير محدد يطلق على مجموعة من البشر لهم صفات طبيعة خاصة، مثل لون البشرة، وشكل الشعر، وملامح الوجه، وشكل الرأس.. وغير ذلك من الصفات الظاهرة التي يتخذها علماء الأجناس أساسًا لتصنيف السكان إلى أجناس( ).

( ) فتحي محمد أبوعيانة: الجغرافيا السياسية، الإسكندرية- دار المعرفة الجامعية.

( ) إبراهيم الديب: الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية -1997م.

هذه الثلاثية **المتعلقة باختلاف العرق والدين واللغة** تعدُّ من أخطر القضايا التي تؤثر على شخصية الإقليم، وفى نفس الوقت تؤثر على وحدته، فالاقاليم التى ينتمى سكانها لعدة عرقيات و ديانات و لغات يتوجب عليها انتهاج سياسيات تساعد على نشر ثقافة التعايش والتعاون والمساواة بين كافة المواطنيين، وإلا سوف يتعرض الإقليم لما يعرف بالاضطرابات العرقية والنزاعات الانفصالية، ويكون هشًّا بشكل كبير إذا واجه تحديًا خارجيًّا فى شكل احتلال أو غيره من التحديات التى قلما يسلم منها إقليم من الأقاليم.

والطرف الخارجي المعادى للإقليم يلعب على هذه القضايا الحساسة، ويبدأ في بزر حبوب النزاعات العرقية والطائفية تحت دعاوى سياسية وإنسانية كثيرة، ومما يساعد الخصوم المعاندين للإقليم سواء كانوا من داخله أو من خارجه على بلوغ أهدافهم. لذلك من الضروري لقادة حركات التغيير استيعاب هذه القضية، فاستراتيجيات حركات التغيير في الإقليم المتعدد العرقيات تختلف عن استراتيجيات الحركات فى الإقليم المتحد في الدين واللغة والعرق.

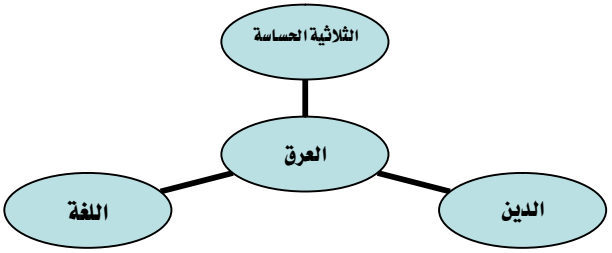

شكل رقم (7)

وستناول فى الصفحات التالية نماذج من الحركات التى أحسنت التعامل مع هذه الثلاثية وحولتها من نقاط ضعف للإقليم إلى نقاط قوة وتمييز، وذلك عبر العديد من الاستراتيجيات والتكيكات، والتى بُذل فيها الجهد والعرق الكبيران من مفكري هذه الحركات وأنصارها.

في الولايات المتحدة الأمريكية:

حركات المقاومة الزنجية كانت تطالب بالمساواة مع البيض في الحقوق الدستورية والاجتماعية، وكان الزنوج يمثلون نسبة 10٪ من حجم سكان الولايات المتحدة الأمريكية، ومعروف دورهم كطبقة وفرت الأيدي العاملة الرخيصة للمصانع والمزراع في الولايات الجنوبية من الاتحاد الأمريكي، كان المحرك الرئيسي للحركة هو القضاء على ظاهرة التمييز العنصري( ).

عانى الزنوج السود من ممارسات التفرقة العنصرية والجوع

( ) نفس المرجع السابق.

والعنف؛ فكان لا ينظر إليهم فقط كعبيد يفعلون ما يؤمرون، إنما كأداة تُستغل أجسادهم وأرواحهم لخدمة السيد الأبيض! وبالرغم من مرور على تحرير العبيد على يد إبراهام لينكولن، لم يسمح للزنوج بشراء ممتلكات خاصة، أو التواجد في أماكن يتواجد فيها نظراؤهم من البيض، إضافةً إلى المهانة التي يتعرضون لها على أيدي البيض، هذا إلى جانب الظلم الاقتصادي بسبب ما يعانونه من فقر؛ ففي الستينيات كان يعيش أكثر من 20 مليون زنجي في بيوت فقيرة قذرة مبنية من الصفيح والأخشاب في مدن الولايات المتحدة الشمالية؛ هربًا من ظلم التفرقة العنصرية في الجنوب، إضافةً إلى انتشار البطالة والجهل والأمراض في الأوساط الزنجية.

استمرت تلك الأوضاع إلى أن اختارت الأقدار مدينة مونتجمري (إحدى مدن الجنوب الأمريكي) لتكون مسرحًا لأحداث خالدة قادها «مارتن لوثر كينج» راعي الكنيسة المعمدانية في ديكستر بمدينة مونتجمري لمواجهة الظلم، وإرساء نظرية جديدة تتسم بالاتزان والاعتدال للمطالبة بالحقوق المدنية، وإلغاء التفرقة العنصرية؛ فقد استطاع عن طريق ترسيخ مفهوم المقاومة باللاعنف أن يجمع حوله الزنوج، ويدفعهم إلى العمل الإيجابي؛ فلم ييأس ويستسلم مثلما فعل بعضهم، ولم ينساق وراء الانفعالات الذين فقدوا أبناءهم ودماءهم، مارتن لوثر كنج دفع حياته ثمنًا للمناداة بالمساواة بين بين السود والبيض، لم يستطيع مارتن أن يجني حصاد كل ما زرع؛ فقد اغتيل

ببندقيــة أحــد المتعــصبين، يــدعى «جــيمس أرل راي» في 4 أبريــل 1968م( ).

حركة الزنوج واستراتيجية المكاسب الصلبة:

حصلت الحركـة علـى مكاسـب دسـتورية لا يمكـن التراجـع عنهـا والالتفاف عليها، وقدمت نموذجًا ينبغي لقادة حركـات التغـيير الوقـوف عنده، وخاصة في مسار النتائج بعد نهاية فترة النضال والاسـتنفار وبـذل المجهود، فهناك حركات لا يتناسب ما تبذله من مجهود مع ما تحصل عليـه من مكاسب هشة!!

هل هناك فرق بين المكتسبات الصلبة والمكتسبات الهشة؟

في النضال الدستوري وفوق الدستوري، هناك فـرق بـين المكتـسب الصلب والمكتسب الهش:

المكتسب الصلب:

لا يمكن سحبه ولا إلغاؤه ولا الالتفاف عليـه، مثلمـا حـصل عليـه الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية مـن حقـوق دسـتورية بعـد طـول نضال، شمل الاضرابات والمظـاهرات والنـضال القـضائي أمـام المحـاكم الأمريكية، جعلتهم في نهاية المطاف مثل الأمريكيين البيض، متساوين في الحقوق السياسية والاجتماعية وغيرها من الحقوق، ولا يمكن لحزب مـن

( ) أحمد عبد الحكيم، هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث- بـيروت – الدار العربية للعلوم 2007م.

الأحزاب القائمة سواء المحافظون أو الجمهوريون إلغاء هذه الحقوق أو حتى النقاش حولها، حتى لو وجد حزب جديد في الولايات المتحدة الأمريكية سوف يسلم هذا الحزب بهذه المكتسبات للزنوج ويدعمها دون نقاش ولا جدال، وربما يقوي هذه المكتسبات، بمعنى أن هذا المكتسب أصبح عضوًا مؤثرًا في الجسد السياسي والاجتماعي للدولة، لا يمكن بتره والاستغناء عنه مطلقًا.

المكتسب الهش:

هو المكتسب الذي يمكن الالتفاف عليه وتفريغه من مضمونه، وأحيانًا كثيرة إلغاؤه تمامًا، مثلما يحدث في الانتخابات البرلمانية من سحب المكتسبات من بعض المعارضين من خلال إعلان سقوطهم في الدوائر الانتخابية، رغم أن الشواهد وعدد الأصوات تؤكد فوزهم.

قوة إضافية:

بلوغ حركة السودلأهدافها زاد من قوة الأمة الأمريكية وتماسكها، وعلى الرغم من أن منطلق حركة الزنوج كان فئويًا وينتصر لفئة محددة، ويسعى لرفع الظلم الواقع عليها، إلا أنها – أي: الحركة- حصلت في بعض مراحلها على دعم قوي، وتأييد جماهيري ليس بالقليل من البيض أنفسهم! وذلك يرجع لأن الحركة تبنت استراتيجيات ما يعرف بالنضال اللاعنف، ومن خلال هذه الاستراتيجية نجحت في جذب التعاطف والتأييد من المجتمع المحيط، ومن خلال «استراتيجية عدم الردِّ» على

الاستفزازت بالعنف، وعدم الانخراط في أتون القتل والتدمير، مما مكنها في نهاية المطاف من تحقيق كامل أهدافها التي تحركت من أجلها، وأصبحنا الآن نسمع عن وزراء من السود، وربما نسمع عن رؤساء لأمريكا من السود في الفترات القادمة.

الحركة نجحت في إقناع الجماهير والمجتمع الذي تعمل فيه بأن نيل حقوق السود لا يعني حرمان البيض من الحقوق، وإنما يعني تحويل التنوع العرقي من نقطة ضعف للمجتمع الأمريكي إلى نقطة قوة، وبالتالي تتحسن الصورة الذهنية في عقول الشعوب والدول الأخرى عن الولايات المتحدة، مما يدعم تفوقها كنموذج حضاري للتعايش والتعاون والمساواة.

فكلما نجحت حركات التغيير في إقناع الجماهير بأن دعمها يعني دعم مستقبل الدولة ككل على اختلاف عرقياتها وطوائفها، كلما كانت فرص تحقيق أهدافها كبيرة وممكنة.

نموذج الحركة الهندية (غاندي):

حركة التحرير الوطني التي قادها غاندي باستراتيجية حرب اللاعنف، تمثل نموذجًا رائعًا لحركة تدافع حضاري استطاعت أن توحِّد شعب متعدد الأعراق واللغات والديانات.

فالهند كإقليم كبير به 15 لغة مختلفة، و720 لهجة مختلفة، و24 لغة صغيرة، و23 قبيلة، وهذا طبعًا بالإضافة للأديان المتنوعة بين الإسلام والهندوكية والبوذية، وكان غاندي يعمد إلى تكنيك الصوم كلما وقع تصادم بين أصحاب الديانات المختلفة؛ حتى يخجل المتعصبون، ويكفوا عن هدم المساجد الإسلامية أو المعابد الهندوكية( ).

المشروع الإسلامي في المدنية:

بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة (يثرب) اتجه إلى توفير الاستقرار للمشروع الإسلامي في الدولة الجديدة، وكانت شرائح المدينة وقت قدوم الرسول ﷺ تنقسم إلى ثلاثة شرائح:

1- المهاجرون، وهم الذين فروا بدينهم من مكة إلى المدينة.

2- الأنصار، وهم الذين دخلوا الإسلام من سكان المدنية الأصليين، وهم الأوس والخزرج، وسموا بذلك؛ لأنهم نصروا الرسول ﷺ على قريش.

( ) إبراهيم الديب: الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة -مكتبة الأنجلو المصرية -1997.

3- اليهود، وكانوا مهرة في فنون الكسب والعيش، وفي أيديهم صناعة السلاح والتمور والحبوب والثياب والذهب، وأشهر قبائلهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

ومن توحيد شرائح المجتمع الجديد في المدينة اتجه الرسول ﷺ لعمل ما يعرف تاريخيًّا بـ «وثيقة المدينة»، والتي تمثل دستورًا وطنيًّا بالمعنى المعاصر، اعترف فيه بدين اليهود كدين سماوي، ، ضمن حفظ أموالهم وأعراضهم: «وإنْ من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم».

ومن خلال هذه الوثيقة استطاع الرسول ﷺ تحقيق التالي:

1- توحيد المسلمين على اختلاف شعبوهم وقبائلهم، وأن يجعل منهم أمة واحدة، ألف الإسلام بين قلوبهم أفرادهم.

2- أوجد التعاون والتضامن بين أفراد تلك الجماعة على أساس أن الزمالة في الدين مقدمة على غيرها من الصلات، حتى صلة القرابة.

3- شرط لشريحة اليهود المساواة مع المسلمين في المصلحة العامة، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق تحت شعار: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».( )

( ) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسيوالديني والثقافي والاجتماعي- القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1979.

4- وبهذه الإجراءات أصبح للمشروع الإسلامي نظامًا سياسيًّا واضح المعالم، ويعدُّ نظامًا سياسيًّا متقدمًا مقارنة بغيره من النظم في هذه الحقبة التاريخية جعل من كل شرائح المدينة الوافدة والمقيمة شريكة في مسار مرحلة استقرار وبناء الدولة والتصدي للتحديات الخارجية، من خلال الحفاظ على وحدة وتلاحم النسيج الوطني الداخلي.

وسادت هذه السياسية التسامحية والتعايشة للمشروع الإسلامي عبر المسار التاريخي للمشروع مرورًا بمرحلة الخلفاء الراشدين ثم الخلافة الأموية والعباسية وجزئيًّا فى مرحلة الخلافة العثمانية.

ويعلق الدكتورالمصري ميلاد حنا عن ثقافة التسامح فى تاريخ المنطقة العربية والإسلامية قائلاً: «نشأت جميع الأديان الإبراهيمية في المنطقة العربية بدءًا باليهودية وبعدها ظهرت المسيحية في فلسطين، واستمرت المسيحية في المشرق العربي حتى الآن؛ إذ توجد جماعات مسيحية كثيرة في الوطن العربي تنتمي إلى المذاهب الرئيسية الثلاثة المعروفة في العالم، وهي: الأرثوذكسية والكاثوليكية، ثم جملة الفرق المنتمية إلى المذهب البروتستاني، وأشهرها كما هو معروف الأقباط (ومعظمهم أرثوذكسي) في مصر، ثم الموارنة (الكاثوليك) في لبنان، والسريان في سوريا، والأشوريون في العراق.

وهناك أقليات تنتمي إلى الأرمن الذين هاجروا من بلادهم الأصلية ووجدوا الأمان في المنطقة العربية.

ومعظم هذه الجماعات البشرية العربية التي تنتمي إلى المسيحية بشكل عام، على علاقة طيبة بالمسلمين، وعاشت تحت مظلة الحكم الإسلامي لقرون طويلة. وعلاقتهم بالمسلمين العرب طيبة للغاية على الرغم من وجود بعض المشكلات التي يتم حلها ببساطة.

والقضية الجديرة هي أن هذه المجموعات المسيحية العربية كانت ولا زالت شركاء في صياغة الحضارة العربية الإسلامية؛ فمن المحقق تاريخيًّا أنهم قد ساهموا - ومنذ وقت الخلافة العباسية- في حركة ترجمة واسعة للتراث السابق على الحضارة الإسلامية إلى اللغة العربية، لمعرفة هذه الجماعات باللغة اليونانية القديمة، علاوةً على لغاتهم الأصلية، وهي الآشورية والسريانية والقبطية، وكل ذلك ساعد على نقل التراث الأقدم للعربية، فكان جسرًا ثقافيًّا أمكن معه أن تتواصل المعرفة من الأزمنة السحيقة في التاريخ إلى العصر الحديث، ولذا فإن المعرفة المتاحة للبشرية الآن هي تراكم معرفي تم نقله والاستزادة منه عبر حركة الترجمة في العصور المزدهرة للحضارة الإسلامية، وقد زادت من خلال الإثراء المعرفي الذي قامت به الحضارة الإسلامية ذاتها، أيا ما يكن الأمر، فإن المسيحية التي نشأت في العالم العربي تعايشت تحت مظلة الأحقاب الإسلامية المتتالية، وأنتجت معرفة، ولذا فإن ما وصلت إليه البشرية من معرفة -في مجالاتها كافة- ما هو إلا تراكم معرفي ظل يزداد عبر الحضارات المتتالية، حتى بلغ ما وصل إليه الإنسان في العصور الحديثة، وهو

أحد روافد التنمية الإنسانية في جملتها»( ).

إنَّ هذه المعايشة بين المسيحية والإسلام في الوطن العربي، تقدم نموذجًا للوحدة من خلال التنوع.

ومن الحركات المعاصرة التى سوف نتعرف عليها فى المنطقة العربية التي حققت تقدمًا ملموسًا في التعامل مع اختلاف الدين والطائفة، بالإضافة لاشتباكها مع خصم خارجي معاند (إسرائيل).

حركة (حزب الله اللبناني):

أولاً: عودة للتاريخ.. في النشأة والجذور

يتجاذب فريقان الرأي حول نشأة وأصول حزب الله، بين من يراه ظاهرة لبنانية صرفة، ما كان لها أن تستقر وتنمو إلا في بيئة تحمل خصائص ومقومات النموذج اللبناني، وبين من يعتبره ظاهرة إيرانية خالصة، ما كان له أن يصل إلى ما هو عليه الآن لولا أن الحزب في جوهره إيراني المنشأ والهوى والتوجهات والسلوك.

وواقعيًّا، فإنَّ العودة إلى تاريخ نشأة حزب الله والظروف التي أحاطت بهذه النشأة لا ترجح رأيًا من الرأيين السابقين على الآخر، ذلك أن حزب الله هو وليد ميراث طويل من حرمان وقع على الطائفة الشيعية في لبنان، والتي كانت المتضرر الأكبر بعد قيام إسرائيل عام

( ) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة، UNDP، المكتب الإقليمي للدول العربية.

1948م، وتكرار الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان.

وحزب الله هو أيضًا وريث لغياب الشعار القومي العربي الذي خفت بعد هزيمة العرب في يونيو 1967م، وشأنه في ذلك شأن الحركات الإسلامية الأخرى التي كانت تبحث عن مكان جديد لها، فوجد الحزب مرجعيته في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد ثورة الخميني عام 1979م، ومن رحم هذه الخلفية كان الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عام 1982م هو اللبنة الأخيرة التي ساهمت في ظهور حزب الله إلى الوجود( ).

1- غياب الدولة والحرمان الشيعي:

يوصف النظام السياسي في لبنان - كما الدولة والمجتمع- بالنظام الطائفي أو ما يعرف بـ«فيدرالية الطوائف»، وتعود نشأة الطائفية السياسية في لبنان إلى عام 1861م حين نشأ نظام حكم ذاتي في جبل لبنان باسم متصرفية جبل لبنان، حيث حكم جبل لبنان مسيحي ماروني متصرف، ومعه مجلس حكم يمثل الملل الدينية الأخرى، وكان عددها آنذاك سبع ملل، وانتهى العمل بهذا النظام واقعيًّا في عام 1920م حين دخلت القوات الفرنسية بيروت، ورسميًّا حين أعلن كمال أتاتورك الجمهورية التركية في نوفمبر 1923م.

( ) إبراهيم غالي: حزب الله.. بين المقاومة ومتاهات السياسة اللبنانية- القاهرة- كراسات مركز الأهرام للدراسات، العدد رقم (173) - مارس 2007.

ولم تغب فكرة التمثيل النسبي الطائفي عن الانتداب الفرنسي أيضًا، فبعد إعلان المفوض السامي الفرنسي «جورو» قيام دولة لبنان الكبير في سبتمبر 1920م، وترسيم حدوده عام 1923م، كان الكيان اللبناني الجديد طائفيًّا أيضًا، يركز السلطات في الطائفة المارونية كما جاء في دستور 1926م، وهو ما جعل المسلمين يعتبرون لبنان كيانًا مسيحي الطابع، فطالبوا بأن ينصَّ الدستور على ضمانات للمشاركة الإسلامية في قيادة الدولة الجديدة، وهو ما جرى التعبير عنه في نصٍّ المادة 95 من الدستور: «بصورة مؤقتة، والتماسا للعدل والوفاق، تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة، دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة» لعامة والرعاية الدينية، استطاع أن ينظم الطائفة الشيعية في إطار شرعي، حيث نظمت المحاكم الجعفرية ومنحت استقلاليتها الكاملة وشخصيتها المعنوية، ثم وافق البرلمان وصادق رئيس الجمهورية «شارل حلو» في 12 ديسمبر 19672 ( ).

أسباب تميز حزب الله:

تكمن أحد أهم أسباب تميز حزب الله فى اعتماده على استراتيجية القوراب السريعة( ) التي تغير مسارها بسهولة ولطف بما يتناسب مع الواقع على الأرض، وهناك **ثلاث نقاط مفصلية** ارتكز عليها حزب

(1) لمعرفة المزيد حول نشأة حزب الله يمكن الرجوع للملحق الثانى ص 186.
(2) لمعرفة المزيد عن استراتيجيات الحركات وقت الأزمات يمكن الرجوع للملحق الثانى ص 191

الله منذ تأسيسه، ساعدت حزب الله في التغلب على التحديات التي تواجهه، وتحويلها لنقاط قوة بدلاً من أن تكون نقاط ضعف، مما كان له الأثر الكبير في تحسين الصورة الذهنية عن حزب الله في الداخل اللبناني، وفي المحيط الإقليمي العربي والإسلامي:

(1) **ترتيب البيت الداخلي**: كان التحدي الأول لحزب الله كتنظيم سياسي حديث وسط الأقلية الشيعية، هو كسب ولاء غالبية المجتمع الشيعي، أي: الطائفة التي تزوده بالمقاومة من جانب، وبأي انتصار في مراكز الاقتراع من جانب آخر.

(2) **حزب سياسي**: دعم حزب الله موقفة داخليًّا كحزب سياسي شرعي مسئول في السياسة اللبنانية الداخلية، حتى لا يتهم بالطائفية، وحتى يدخل في إطار السياسة الداخلية بما يحقق مصالحه الخاصة، ومصالح طائفته، ومصالح الشعب اللبناني.

(3) **المحيط الإقليمي**: والثالثة أن يحتفظ بعلاقات إيرانية وسورية لدعم المقاومة، وإدخال لبنان في وضع الدولة الإقليمية التي تواجه أمريكا وإسرائيل والمستكبرين.

ولتحقيق النقطة الأولى عمد إلى هذه التكيكتات التي عمقت وجوده في الطائفة الشيعة:

أولها: بسط نفوذه على مساحة معتبرة من الأرض.

وثانيها: تقديم خدمات مختلفة للطائفة لاجتذاب المؤيدين.

وثالثًا: تضييق مساحة التباعد بين الطائفة والدولة.

استطاع قياديو حزب الله في فترة العمل غير المعلن أن يحولوا الحزب في سنواته الأولى إلى قوة جديدة في منطقة بعلبك والضاحية الجنوبية لبيروت، وتحويل 90٪ من شيعة البقاع من حركة أمل إلى التنظيم الجديد.

في النقطة الثانية في بروزه كحزب سياسي لبناني، عمد إلى العديد من الإجراءات في الدخول في الحياة المدنية اللبنانية، فقد قام الحزب بالعديد من الخطوات في إطار «اللبننة»:

فأولاً: لم يدخل في أي اقتتال مع أحد أو يلوح باستخدام سلاحه في الداخل.

وثانيًا: كان على الحزب أن يخوض سجالاً داخليًّا حادًّا، بدءًا من ترك صبحي الطفيلي أمانة الحزب، وهو أول أمين عام له، ليتولى السيد عباس الموسوي في فبراير 1991م، ولأن آراء الطفيلي اتسمت غالبًا بالتشدد والرمزية.

قام الحزب باتخاذ بعض الخطوات الرمزية في إطار اللبننة، ومنها إجراء تغيير طفيف في علم الحزب، حيث تغير الشعار الموجود أسفل العلم من جملة الثورة الإسلامية في لبنان إلى المقاومة الإسلامية في لبنان.

السرايا المشتركة:

وبعد عدوان إسرائيل عام 1996م، من خلال عملية عناقيد الغضب، ووقوف الدولة إلى جوار المقاومة، بادر الحزب في نوفمبر 1997م بإنشاء السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وقد ضمت هذه السرايا 38٪ من المسلمين السنة، و25٪ من المسلمين الشيعة، و20٪ من الدروز، و17٪ من المسيحيين، وقامت بتنفيذ عدد من العمليات ضد الاحتلال حتى تحرير الجنوب عام 2000م.

استراتيجية الباب المفتوح:

وأخذ الحزب ينفتح شيئًا فشيئًا على الأحزاب الأخرى، بتشكيلاتها اليمينية واليسارية، الدينية والعلمانية، الإسلامية والمسيحية، فكان مشروع مبادرة الحزب لتوحيد قوى المعارضة في عام 1997م، ثم إصدار وثيقة البريستول التي طالب فيها 27 حزبًا بالإصلاح السياسي والاقتصادي.

المسار الإقليمي( ):

وفي المسار الإقليمي حافظ على قوة علاقاته بالجمهورية الإيرانية والسورية، بما تمثلانه من دعم عسكري على مستوى العتاد، ودعم سياسي ولوجستيي.

( ) إبراهيم غالي: حزب الله.. بين المقاومة ومتاهات السياسة اللبنانية- القاهرة- كراسات مركز الأهرام للدراسات، العدد رقم (173) - مارس 2007.

القضية المركزية ونقاط التقاطع:

كلُّ هذه العوامل السابقة ساعدت حزب الله على كسب الأنصار والمؤيدين له على المستوى اللبناني الداخلي، وعلى المستوى الإقليمي، وبمعنى آخر على مستوى الشعوب العربية والإسلامية، ولكن أحسب أن حجر الزاوية في مسألة التأييد هو وجود حزب الله كتنظيم عسكري مشتبك مع الكيان الصهيوني( )، استطاع تحقيق نجاحات عسكرية كبيرة على الأرض، بمعنى آخر حدوث تقاطع استراتيجي بين القضية المركزية للشعوب العربية (قضية تحرير فلسطين) التي تقع تحت يد نفس المحتل (الإسرائيلي) للجنوب اللبناني سابقًا، والقضية المركزية لحزب الله، وهي تحرير كامل الجنوب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي (فلسفة العدو المشترك).

فكلما كانت حركات التغيير قربية من القضايا الأساسية والمركزية في مجتمعاتها، كلما كانت فرص حصولها على الدعم والتأييد الشعبي والإقليمي أكبر.

( ) لمعرفة المزيد حول حرب (إسرائيل – حزب الله) لعام 2006م يمكن الرجوع للملحق الثانى ص 192.

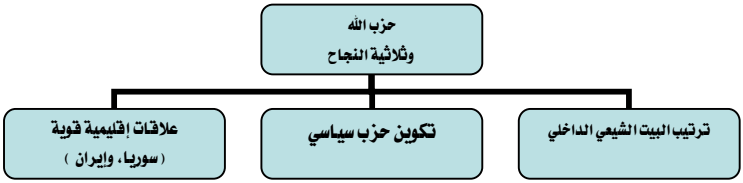

شكل رقم (8)

الوقائع المعاصرة والثلاثية الحساسة:

نشاهد من خلال هذه الوقائع والأحداث الدامية التالية أثر غياب ثقافة الإعتراف بالآخر، واحترام حقوق الأقليات الدينية، والعرقية، واللغوية، وخاصة عندما تتجسد هذه المعانى السيئة فى حركات عنصرية، تتقلد أحياناً المناصب السيادية، فى بعض الدول المتنوعة عرقيا ودينيا وثقافيا فقد «دمَّر العنف العرقي مئات المنازل والمساجد في كوسوفو وصربيا، وأسفرت هجمات إرهابية بالقنابل على قطارات في إسبانيا عن مقتل نحو 200 شخص، كما أودى العنف الطائفي بحياة آلاف المسلمين وهجر آلافًا آخرين عن ديارهم في ولاية «جوجارات»، وأماكن أخرى في الهند، البلد المعروف بدفاعه عن التعايش الثقافي، وأدت موجة من جرائم الكراهية ضد المهاجرين إلى نسف إيمان النرويجيين بالتزامهم الراسخ بالتسامح، كذلك قد تسفر الصراعات بشأن الهوية عن سياسات قمعية ومعادية للأجانب تعيق التنمية البشرية، ويمكن لها أن تشجع على التقهقر إلى مواقف محافظة ورفض التغيير،

وإلى سدِّ الباب أمام تدفق الأفكار، وفي وجه الناس الذين يجلبون معهم قيمًا كونية تحديثية ومعارف ومهارات تدفع عجلة التطور.

إنَّ إدارة التنوع واحترام الهويات الثقافية لا يشكلان تحديًا لدول قليلة «متعددة العرقيات» فقط؛ إذ ما من إقليم واحد تقريبًا متجانس كليًّا، فبلدان العالم - البالغ عددها قرابة مائتين - تضم نحو5000 مجموعة عرقية، فيما يشتمل ثلثا هذه البلدان على أقلية كبيرة واحدة على الأقل، أي: على مجموعة عرقية أو دينية تشكل ما لا يقل عن 10٪ من السكان.

احترام التنوع:

إنَّ التنوع الثقافي موجود ليبقى وينمو، وعلى الدول أن تجد سبلاً لتكوين وحدة وطنية في خضم هذا التنوع؛ فالعالم الذي يزداد اعتماده بعضه على بعضه الآخر اقتصاديًّا، لا يستطيع أن يعمل بصورة صحيحة إلا إذا احترام الناس التنوع، وبنوا الوحدة من خلال الروابط الإنسانية المشتركة، وفي عصر العولمة هذا، لم يعد من الممكن تجاهل مطالب الاعتراف الثقافي من قبل أي دولة أو من جانب المجتمع الدولي، ومن المرجح أن تتصاعد المجابهة بشأن الثقافة والهوية، لكن سهولة الاتصالات والسفر قلصت العالم وغيرت ساحة التعددية الثقافية، كما أدى انتشار الديمقراطية وحقوق الإنسان والشبكات الدولية إلى إعطاء الناس وسائل أكبر للاحتشاد حول قضية ما، والإصرار على إجابة

عنها، والحصول على تلك الإجابة( ).

الحركات وثقافة التعايش:

فينبغي على الحركات التغييرية الرائدة أن تشيع ثقافة التعايش واحترام الآخر بين أفرادها، من خلال استعراض التجارب التغييرية الناجحة فى هذا المجال، ومن خلال التفكير العميق فيما يسكن عقول أفرادها من رؤى وتصورات حول مفهوم المواطنة والمساواة والعدالة، وعلى الحركات أن تقدم نموذجًا واقعيًّا عليها بحيث تكون هياكلها وخطابها تعكس التنوع القائم فعلاً فى المجتمع على كافة المستويات الثقافية والدينية والعرقية، فالحركات التى تضم أفراد مختلفين عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا يصعب على خصومها إطلاق صفات الطائفية والعنصرية والانحياز العرقي عليها.

ويساعد الحركات فى هذا المضمار الاطلاع على تقرير التنمية البشرية لعام 2004م الصادر عن الأمم المتحدة، والذى استعرض قضايا اختلاف العرقيات والثقافات واللغات بشكل دقيق، واكتفى في هذا الفصل بنقل الخرافات الخمس العرقية التى عرضها التقرير، تركًا للحركات تحديد طرق الاستفادة منها على مستوى الاستراتيجيات والتكيتكات وصياغة الخطابات.

( ) تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المنتوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004.

مصيدة الخرافات العرقية:

الخرافة الأولى: تتنافس هويات الناس العرقية مع ولائهم للدولة؛ إذ هناك صفقة مقايضة بين الاعتراف بالتنوع وتوحيد الدولة.

ليس ذلك صحيحًا؛ إذ يستطيع الناس أن يمتلكوا - وهم يمتلكون بالفعل - هويات متعددة وتكاملية: العرق، واللغة، والدين، والعنصر، فضلاً عن الجنسية، كما أن الهوية ليست مسألة مكسب يستتبع خسارة موازية؛ إذ ليس حاجة حتمية إلى اختيار بين وحدة الدولة والاعتراف بالتباينات الثقافية.

من المهم بالنسبة للأفراد أن يكون لديهم شعور بالهوية والانتماء لمجموعة ذات قيم مشتركة وروابط ثقافية أخرى، لكن كل فرد يستطيع أن يتماهى مع مجموعات كثيرة مختلفة؛ فللأفراد هوية الجنسية، مثل كون الإنسان فرنسيًّا، وهوية الجنس مثل كون الإنسان امرأة، وهوية العنصر، مثل كون الإنسان متحدرًا من غرب إفريقيا، وهوية اللغة، مثل طلاقة الإنسان بالتايلاندي والصينية والإنكليزية، وهوية السياسة مثل كون الإنسان ذا آراء يسارية، وهوية الدين، مثل كون الإنسان بوذيًّا.

تنطوي الهوية أيضًا على عامل اختيار، ففي وسع الأفراد أن ينتقوا من بين هذه الانتماءات الأفضلية التي يودون إعطاءها لانتماء على انتماء آخر في سياقات مختلفة؛ فقد يشجع الأمريكيون من أصل مكسيكي فريق كرة القدم المكسيكي، لكنهم يؤدون الخدمة العسكرية في

الجيش الأمريكي، كما اختار كثير من البيض في جنوب إفريقيا محاربة التفرقة العنصرية (الأبارتايد) بصفتهم مواطنين جنوب إفريقيين، ويخبرنا علماء الاجتماع أن لدى الناس حدودًا للهوية تفصل «نحن» عن «هم»، لكن هذه الحدود تتغير وتبهت معالمها، لكي تستوعب مجموعات أوسع من الناس.

كان «بناء الأمم» هدفًا بارزًا خلال القرن العشرين، وسعت معظم البلدان إلى إقامة دول متجانسة ثقافيًّا لها هوية أحادية، وقد نجحت هذه المحاولات أحيانًا، لكن بثمن القمع والاضطهاد، وإذا كان تاريخ القرن العشرين يدلنا على شيءٍ واحدٍ، فإنما يدلُّ على أن السعي إلى القضاء على المجموعات الثقافية، أو تمني زوالها، يولد صمودًا عنيدًا، في المقابل أدى الاعتراف بالهويات الثقافية على حلٍّ توترات لم تكن لها نهاية؛ إذن من الأفضل كثيرًا لأسباب عملية وأخلاقية على حدٍّ سواء الإفساح للمجموعات الثقافية بدل محاولة القضاء عليها أو التظاهر بأنها غير موجودة.

لا يتعين على البلدان أن تختار بين الوحدة الوطنية والتعددية الثقافية؛ إذ تظهر الدراسات أن الاثنتين تستطيعان التعايش معًا، وهما تتعايشان فعلاً في أحيان كثيرة؛ ففي بلجيكا ردت غالبية ساحقة من المواطنين على سؤال بالقول: إنهم يشعرون بكونهم بلجيكيين وفلمنكيين، أو بأنهم بلجيكيون وفالون في الوقت ذاته، وفي إسبانيا قال المواطنون بنسبة مماثلة: إنهم يشعرون بكونهم إسبانيين فضلاً عن أنهم

من الكلاتلان أو الباسك.

عملت هذه البلدان وسواها جادة للتلاؤم مع ثقافات متعددة، كما أجهدت نفسها لبناء الوحدة بزيادة احترام الهويات وتعزيز الثقة في مؤسسات الدولة، ولا يتوجب على المهاجرين أن يتنكروا لالتزامهم بأسرهم في مواطنهم الأصلية عندما ينمون ولاءات لبلدانهم الجديدة؛ وليس هناك أي أساس من الصحة للمخاوف من أن المهاجرين لا «ينصهرون» أو أن من شأنهم تشظية البلد؛ فالانصهار من دون رغبة لم يعد نمط اندماج ضروري أو صالح للاستمرار، ليست هناك صفقة مقايضة بين التنوع ووحدة الدولة، فسياسات التعددية الثقافية هي أحد السبل إلى بناء دول متنوعة وموحدة.

الخرافة الثانية: المجوعة العرقية تجنح إلى خوض نزاعات عنيفة فيما بينها، نتيجة تضارب القيم؛ إذ إن هناك صفقة مقايضة بين احترام التنوع والمحافظة على السلام.

لا، ليس هناك دليل تجريبي على أن الاختلافات والتصادمات الثقافية حول القيم تشكل بحدِّ ذاتها سببًا لنزاعات عنيفة.

صحيح أن نزاعات عنيفة نشبت منذ نهاية الحرب الباردة على الأخص، لا بين الدول على الغالب؛ بل داخلها وبين مجموعات عرقية، أما بالنسبة للأسباب، فهناك اتفاق واسع – توصلت إليه أبحاث حديثة العهد قام بها علماء متبحرون – على أن التباينات الثقافية ليست بحدِّ

ذاتها العامل الحاسم؛ بل إن بعضهم يقول: إن التعددية الثقافية تخفف خطر النزاع؛ لأنها تزيد صعوبة تعبئة المجموعة.

تقدم الدراسات تفسيرات عدة لهذه الحروب، منها التفاوتات الاقتصادية بين المجموعات، فضلاً عن الصراعات على السلطة السياسية أو الأرض أو قيم اقتصادية أخرى، ففي «زر فيجي» قام الفيجيون الأصليون بانقلاب ضد الحكومة التي يهيمن عليها ذوو الأصل الهندي؛ لأنهم خافوا من إمكانية مصادرة أراضيهم.

في سريلانكا استحوذت الأغلبية السنهالية على السلطة السياسية، لكن الأقلية التاميلية كانت تحظى بفرص أكبر للوصول إلى الموارد الاقتصادية، فأشعل هذا الأمر شرارة نزاع أهلي مستمر منذ عقود.

وفي بوروندي ورواندا - وخلال فترات زمنية مختلفة - حرم كل من الهوتيين والتوتسيين من الفرص الاقتصادية والمشاركة السياسية.

هناك دور للهوية الثقافية في هذه النزاعات، لا كمسبب بل كمحرك للتعبئة السياسية؛ فالقادة ينادون بهوية واحدة وبرموزها وتاريخ ظلماتها؛ بغية «استنفار الجند»، ويمكن لغياب الاعتراف الثقافي أن يطلق العنان لتعبئة عنيفة؛ فقد كانت الإجحافات المترسخة في جنوب إفريقيا السبب الكامن لاضطرابات «سويتو» في عام 1976م، لكن الشرارة انطلقت من محاولات فرض اللغة «الإفريقانية» على مدارس السود.

من المهم بالنسبة للأفراد أن يكون لديهم شعور بالهوية والانتماء إلى

مجموعة ذات قيم مشتركة وروابط ثقافية أخرى، لكن كل فرد يستطيع أن يتماهى مع مجموعات كثيرة مختلفة.

وفي حين لا يشكل تعايش مجموعات متمايزة ثقافيًّا بحدِّ ذاته سببًا لنزاعات عنيفة، فمن الخطر السماح للإجحاف الاقتصادي والسياسي بالتعمق بين هذه المجموعات أو قمع التباينات الثقافية؛ لأن من السهل تعبئة المجموعات الثقافية للاحتجاج ضد هذه التفاوتات، على أساس أنها ضرب من الظلم.

ليست هناك صفقة مقايضة بين السلام واحترام التنوع، لكن من الضروري إدارة سياسات الهوية بحكمة كي لا تتقلب إلى عنف.

الحرية الثقافية هي مقدرة الناس على العيش كما يفضلون، وأن يكونوا من يشاءون.

الخرافة الثالثة: تقتضي الحرية الثقافية الدفاع عن الأعراف التقاليدية، كي يمكن إجراء مقايضات بين الاعتراف بالتعددية الثقافية وسواها من أولويات التنمية البشرية، مثل التقدم في التنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

كلا، إن جوهر الحرية الثقافية هو توسيع الخيارات الفردية، وليس حفظ القيم والممارسات بوصفها غاية في حدِّ ذاتها، مع ولاء أعمى للتقاليد؛ فالثقافة ليست مجموعة مجمدة من القيم والأعراف، بل تخلق من جديد وباستمرار؛ فيما يتساءل الناس عن قيمهم وممارساتهم

ويكيفونها، ويعيدون تعريفها تمشيًا مع غير الحقائق وتبادل الأفكار.

يجادل بعضهم بأن التعدد الثقافي هو سياسة حفظ الثقافات، وحتى الأعراف التي تنتهك حقوق الإنسان، وأن المحركات الداعية إلى الاعتراف الثقافي لا تدار ديمقراطيًّا، ولكن يجب عدم الخلط بين الحرية الثقافية أو احترام التعددية، وبين الدفاع عن التقاليد.

فالحرية الثقافية هي مقدرة الناس على العيش كما يفضلون، وأن يكونوا من يشاءون، مع الاحتفاظ بفسحة كافية للتفكير في خيارات أخرى.

ليست «الثقافة» و«التقاليد» والأصالة صنو «الحرية الثقافية»، كما أنها ليست أسبابًا مقبولة للسماح بممارسات تنكر تساوي الأفراد في الفرص، وتنتهك حقوق الإنسان، كحرمان النساء من حقوق مساوية لحقوق الرجال في التعليم.

قد لا تمثل مجموعات المصالح - التي يتزعمها قادة عينوا أنفسهم بأنفسهم- آراء أعضائها على وجه عام، وليس من النادر أن تخضع مجموعات لهيمنة أناس لهم مصلحة في الإبقاء على الوضع كما هو، متذرعين بـ«التقاليد»، ويستطيعون القيام بدور حماة الفكر التقليدي؛ لتجميد ثقافات هذه المجموعات، وينبغي لأولئك الذين يطالبون بالانفتاح الثقافي أن يلتزموا كذلك بالمبادئ الديموقرطية، وبأهداف الحرية البشرية وحقوق الإنسان.

من الأمثلة الجيدة شعب «صامي» في فنلندا، الذي يتمتع باستقلال ذاتي، وله برلمان يضم هيكليات ديمقراطية، ويتبع أساليب ديمقراطية لكنه جزء من الدولة الفنلندية.

لا حاجة لوجود صفقة مقايضة بين احترام التباينات الثقافية وحقوق الإنسان وبين التنمية، لكن عملية التنمية تتطلب مشاركة من الناس للكفاح من أجل حقوق الإنسان، والتحول في القيم.

الخرافة الرابعة: البلدان المتنوعة عرقيًّا أقل قدرة على النمو، ولذا فهناك صفقة مقايضة بين احترام التنوع وتشجيع التنمية.

ليس ثمة دليل على وجود علاقة واضحة، حسنة أو سيئة، بين التنوع الثقافي والتنمية.

ومع ذلك، يحاول بعضهم بأن يقرر أن التعددية كانت عائقًا أمام التنمية، لكن في حين أنه من الصحيح - بما لا يمكن إنكاره - أن مجتمعات متنوعة كثيرة تعاني من مستويات منخفضة في الدخل والتنمية البشرية، فليس هناك إثبات على أن ذلك مرتبط بالتنوع الثقافي.

وتقول إحدى الدراسات: إن التنوع كان مصدرًا للأداء الاقتصادي المتعثر في إفريقيا، لكن ذلك ليس مرتبطًا بالتنوع نفسه، وإنما بعملية اتخاذ القرار السياسي الذي يسير على هدي المصالح العرقية لا الوطنية، وكما توجد بلدان متعددة الأعراق أصابها الركود، هناك بلدان أخرى متعددة الأعراق حققت نجاحات مثيرة للإعجاب، فماليزيا التي يتكون شعبها

من الملاي ومجموعات أصلية أخرى بنسبة 62٪، وذوي الأصل الصيني بنسبة 30٪، والمتحدرين من أصل ندي بنسبة 8٪، أصبحت عاشر دولة في العالم من حيث النمو الاقتصادي بين عامي (1970 و1990م)، وهي السنوات التي طبق خلالها سياسات العمل الإيجابي، وتحتل موريشوس المرتبة 64 على دليل التنمية البشرية، وهي الأعلى بين دول إفريقيا جنوب الصحراء؛ علمًا بأن شعبها متنوع ذا أصول إفريقية وهندية وصينية وأوروبية، منهم 50٪ يعتنقون الهندوسية، و 30٪ المسيحية، و17٪ الإسلام.

الخرافة الخامسة: من المرجح أن تحقق بعض الثقافات تقدمًا أعظم من غيرها في مجال التنمية، وأن لدى بعض الثقافات قيمًا ديمقراطية متأصلة، في حسن تفتقدها ثقافات أخرى، إذن فهناك صفقة مقايضة بين الاتساع لثقافات معينة وبين دفع عجلة التنمية والديمقراطية.

مرة أخرى كلا؛ ليس هناك دليل مستند إلى تحليل إحصائي أو دراسات تاريخية على وجود علاقة عرضية بين الثقافة وبين التقدم الاقتصادي أو الديمقراطية.

إن الجبرية الثقافية – وهي الفكرة القائلة: إن ثقافة المجموعة تفسر الأداء الاقتصادي وتقدم الديمقراطية – تتمتع بجاذبية إيحائية كبيرة سواء كانت هذه الجاذبية عائقًا أو محركًا، لكن هذه النظريات ليست مدعومة بالتحليل الاقتصادي القياسي، أو بالتاريخ.

لقد وضعت نظريات كثيرة عن الجبرية الثقافية، بدءًا بتفسير «ماكس يبر» للأخلاقيات البروتستانتية كعامل أساسي في النمو الناجح للاقتصاديات الرأسمالية.

ورغم كون هذه النظريات مقدمة مقنعة في تفسير الماضي، فقد ثبت فشلها مرة تلو الأخرى في التكهن بالمستقبل، فعندما كانت نظرية فيبر عن المناقبية البروتستانتية تطرى بإسراف وإلحاح، كانت بلدان كاثوليكية (فرنسا وإيطاليا) تحقق نموًا أسرع من بريطانيا وألمانيا البروتستانتيين؛ ولذا وسعت النظرية لتعني الأخلاقيات المسيحية أو الغربية، وعندما حققت اليابان وجمهورية كوريا وتايلاند وبلدان أخرى في شرق آسيا معدلات نمو قياسية، صار لزامًا التخلي عن فكرة أن القيم الكونفوشية تعيق النمو.

يمكن لفهم التقاليد الثقافية أن يعطينا شروحًا لنواح في السلوك البشري والحركية الاجتماعية تؤثر على نتائج التنمية، لكن هذه الشروح لا تقدم نظرية مفحمة عن الثقافة والتنمية؛ فمثلاً عندما تفسر نسب النمو الاقتصادي، يتبين أن السياسة الاقتصادية والجغرافيا وأعباء المرض عوامل ذات صلة قوية بالموضوع، وبالمقابل يتضح أن الثقافة لا أهمية لها في هذا السياق، أكان المجتمع هندوسيًّا أم إسلاميًّا.

ينطبق الأمر ذاته بالنسبة للديمقراطية، فثمة موجة جديدة من الجبرية الثقافية بدأت تؤثر في مجرى بعض المناقشات السياسية، وتعزو إخفاقات نشر الديمقراطية في العالم غير الغربي إلى خصائص ثقافية متجذرة، مثل

اللاتسامح و«القيم الاستبدادية» على مستوى العالم الشامل، وجادل بعض المنظرين بأن القرن الواحد والعشرين سيشهد «تصادم الحضارات»، وأن مستقبل الدول الديمقراطية والمتسامحة مهدد من قبل دول غير غربية ذات قيم أكثر تشددًا، لكن هناك أسبابًا تدفعنا إلى التشكك في هذه النظرية، أحدها أن النظرية تبالغ في تصوير الخلافات بين مجموعات حضارية وتتجاهل أوجه التشابه بينها.

علاوةً على ذلك، فإن الغرب لا يحتكر الديمقراطية ولا التسامح، وليس هناك خط واحد من التقسيم التاريخي بين غرب متسامح ديمقراطي وشرق متعسف استبدادي، لم يكن أفلاطون وأوغسطين أقل سلطوية في تفكيرهم من كونفوشيوس وكوتيليا، ولم يكن هناك مدافعون عن الديمقراطية في أوروبا فحسب، بل في أماكن أخرى أيضًا، لنضرب مثلاً بـ«الإمبراطور الأكبر» الذي بشَّر بالتسامح الديني في هند القرن السادس عشر، أو بـ«الأمير شوتوكو» في يابان القرن السابع، أو بواضع الدستور «كمبو» الذي أصر على أن «القرارات المتعلقة بالأمور الهامة يجب ألا يتخذها شخص واحد فقط»، بل يجب أن يناقشها كثيرون، لقد كانت التوجهات لاتخاذ القرارات تشاركيًّا بشأن القضايا الهامة جزءًا أساسيًّا من تقاليد كثيرة في إفريقيا وسواها، وتظهر النتائج الأحداث لمسوحات قيم العالم أن الناس في البلدان الإسلامية لا يقلون تأييدًا للقيم الديمقراطية عن شعوب البلدان غير الإسلامية.

والمشكلة الأساسية في تلك النظريات هي افتراضها أن الثقافة

متجمدة على حدٍّ بعيدٍ ولا تتغير، وهو ما يسمح بتقسيم العالم تقسيمًا واضحًا إلى «حضارات» أو «ثقافات»، ويتجاهل هذا الافتراض حقيقة أنه في حين قد تتسم قيم المجتمعات وتقاليدها باستمرارية كبيرة، فإنَّ الثقافات تتغير أيضًا، وقلما تكون متجانسة، لقد عرفت كل المجتمعات تقريبًا تحولات في القيم، مثلاً التحولات في القيم خلال القرن الماضي بشأن دور النساء والمساواة بين الجنسين، كذلك حدثت تغيرات جذرية في الأعراف الاجتماعية في كل مكان، من الكاثوليك في تشيلي إلى المسلمين في بنجلادش والبوذيين في تايلاند، ومثل هذه التحولات والتوترات داخل المجتمعات تحرك السياسات، وتحفز على التغير التاريخي، بحيث أصبحت كيفية تأثير علاقات القوة على هذه الديناميكيات تطغى على الأبحاث الأنثروبولوجية".

ومن المفارقات أنه في حين تخلى علماء الأنثروبولوجيا عن مفهوم الثقافة كظاهرة اجتماعية مقيدة وثابتة، يتنامى اهتمام الاتجاه السياسي السائد بالعثور على قيم وخصائص جوهرية لـ« شعب وثقافته»( ).

( ). تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004

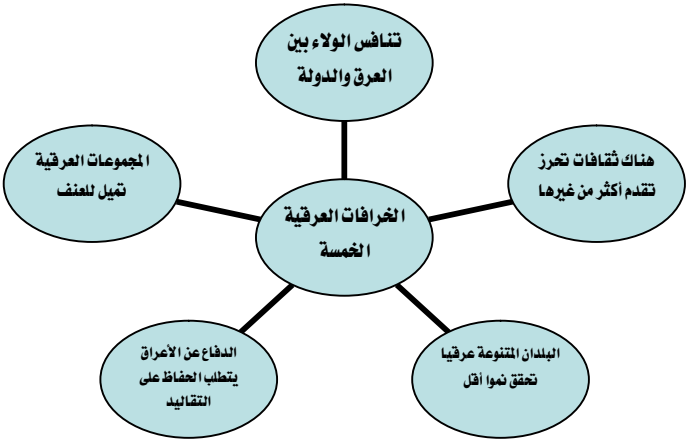

شكل رقم (9)

بعد هذا الاستعراض السابق لقضية الخرافات العرقية، سنتاول فى الصفحات القادمة نماذج لدول معاصرة تغلبت على هذه التحديات العرقية السابقة، وقدمت لشعوب العالم نماذج يمكن الاستفادة منها فى مسار الوحدة الوطنية وتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين وأهدف من خلال عرض هذه النماذج توفير تجارب لقادة الحركات يمكن الاستفادة منها، فكلما اتسع خيال قادة الحركات وتوفرت له بدائل مجربة من قبل كلما سهل عليه إبداع حلول تتناسب مع التحدى المباشر له فى الإقليم.

تجارب ناجحة للتعايش والتوافق:

الوصول إلى العدالة والاعتراف الثقافي في جواتيمالا

"عانى سكان جواتيمالا الأصليون الأمرين من قهر واستبعاد طيلة ما يزيد عن 500 سنة، منذ وصول الغزاة الأسبان، وكان النزاع الداخلي المسلح الذي استمر من عام 1960م حتى توقيع اتفاقيات السلام في عام 1996م مدمرًا إلى حد بعيد، حيث تعرض السكان الأصليون الذين يشكلون أكثر من نصف الشعب لمذابح وانتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان، وقوض النظام العسكري الديكتاتوري -الذي دام من عام (1970 إلى عام 1985م) ـ استقلالية سلطات المجتمعات المحلية.

ليس من المستغرب إذن أن تفقد المجتمعات الريفية ثقتها بالنظام القضائي وحكم القانون، فقد صارت الإعدامات الغوغائية العلنية من دون محاكمة البديل عن نظام العدالة الرسمي، والمشهور بعدم قدرته على إصدار أحكام على مرتكبي الجرائم، وبنزعته إلى الإفراج عن المجرمين باستخدام تقاليد فاسدة في نظام الكفالات، وتشبه المؤسسة السياسية حقيقة الإعدامات غير القانونية عبر وصفها تهكما بأنها ممارسات تقليدية للسكان الأصليين.

أقرت اتفاقيات عام 1996م بالحاجة إلى إصلاح حقيقي مع التزامات الاعتراف بالقانون التقليدي لشعب المايا وسلطته مثلاً، تقول

الاتفاقية الخاصة بهوية السكان الأصليين وحقوقهم: «إن قلة معرفة الهيئة التشريعية الوطنية بالمعايير التقليدية التي تنظم حياة مجتمع السكان الأصليين، وكذلك افتقار السكان الأصليين إلى فروض الوصول إلى موارد نظام العدالة الوطني ـ سبب الحرمان من الحقوق، والتمييز والتهميش».

اتفقت الحكومة والمعارضة على:

- الاعتراف بإدارة الشئون الداخلية لجماعات السكان الأصليين، بناءً على معايير العدالة الخاصة بها.
- جعل الاعتبارات الثقافية جزءًا من تطبيق القانون.
- تطوير برنامج دائم لتعريف القضاة وأعضاء وزارة الشئون العامة بثقافة السكان الأصليين وهويتهم.
- تأمين خدمات مجانية لترجمة المجريات القضائية لذوي الموارد المحدودة.
- تقديم خدمات مجانية لترجمة المجريات القضائية إلى لغات السكان الأصليين."

تشكل هذه التطورات خطوات أولى في مسيرة الاعتراف بالثقافات المتمايزة للسكان الأصليين في جواتيمالا، والتحدي الماثل الآن هو تطوير أنظمة الأعراف بطريقة تتوافق مع حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين( ).

( ) نفس المرجع السابق.

نموذج جمهورية جنوب إفريقيا:

التاريخ الدامي:

كانت جمهورية اتحاد جنوب إفريقيا مثال من أسوأ أمثلة التفرقة **العنصرية** البغيضة، حيث حكم أربعة ملايين من العناصر البيضاء، حوالي 29 **مليون** من غير البيض، هذا الاتحاد الذي فقد وحدته قبل أن يولد، وأصبح جنة الأقلية، وجحيم الأغلبية، وقلعة التفرقة العنصرية، فقد سلكت الأقلية البيضاء سياسية عزل الأغلبية غير البيضاء في مناطق تتسم **بالفقر** والجدب حيث المعازل، ويسخرون في خدمة البيض، وأمعنت سلطات البيض في جنوب إفريقا في سياسة التفرقة العنصرية، وتمادت في تطبيقها مما جلب عليها سخط العالم واستنكاره، أصدرت هيئة **الأمم المتحدة** عدة قرارات لمقاطعة اتحاد جنوب إفريقيا في سنة 1962م، والسنوات التالية لها، كما قاطعت دول العالم الثالث اتحاد جنوب إفريقيا بسبب التفرقة العنصرية.

التركيبة العرقية

يتكون سكان جنوب إفريقيا من عناصر عديدة، وكانوا ينقسمون حسب نظم التفرقة العنصرية إلى مجموعتين: البيض وغير البيض، ويبلغ عدد البيض حوالي 5 ملايين نسمة، بينما عدد الوطنيين، وهم قبائل **البانتو** أكثر من 24 مليون، وعدد الملونين والآسيويين 4 ملايين، أي أن عدد غير البيض يقترب من 29 مليونًا، وهم بذلك يشكلون أغلبية

سكان اتحاد جنوب إفريقيا، وتتكون الأقلية البيضاء من سكان جنوب إفريقيا من عناصر أوروبية هاجرت إلى جنوب إفريقيا أثناء احتلال هذه المنطقة، ومن العناصر البيضاء هولنديين، **وألمان، وبريطانيون، وفرنسيون،** هذا الخليط من العناصر أطلق على نفسه «الأفركانيرز»، وخلق قومية جديدة من هذا الشتات، ويتحدثون لغة مشتقة من الهولندية ممزوجة بكلمات ألمانية وإنجليزية أطلقوا عليها لغة «الأفركانرز».

يتكون الإفريقيون - وهم الأغلبية- من البانتو، ويتكونون من مجموعات عديدة منها مجموعة **نجوني**، ومجموعة **تسونجا**، ومن المجموعة الأولى **السوازي**، وشعب **الزولو**، وكان الزولو أمة مرهوبة الجانب قبل الاستعمار الأوروبي، ومن المجموعة الثانية قبائل **تسونجا، ورنجا وتسوا**، وإلى جانب المجموعتين السابقتين جماعات فندا، والسوتو، وهكذا تتعدد قبائل البانتو.

أما العناصر الملونة فتشكل من خليط نتج عن تزاوج بين الهونتنوت - وهم عنصر إفريقي- بالأوروبين الأوائل، وخليط نتج عن تزاوج بين الآسيويين أو الأوروبيين، وتتكون العناصر الآسيوية من المهاجرين إلى جنوب إفريقيا تحت سخرة العمل من الماليزيين والهنود والباكستانيين، وهكذا شعوب اتحاد إفريقيا تتكون من عدة عناصر( ).

( ) إبراهيم الديب: الجغرافيا السياسية – منظور معاصر--القاهرة -مكتبة الأنجلو المصرية 1997.

مسيرة التحرر:

اتبعت حركة مناهضة سياسات التمييز العنصري في جنوب إفريقيا طوال الخمسينات عددًا من أساليب الكفاح الوطني؛ ففي عام 1952م أعلن المؤتمر الإفريقي عن شنِّ «حملة تحد»، نظم خلالها عددًا من هذه الأساليب طوال حقبة الخمسينات، وقد تضمنت هذه الحملة حملة لمقاومة سياسة التمييز العنصري في مجال التعليم في الفترة من (1953ـ 1955م)، وحركة مقاطعة الحافلات في الفترة من عام (1955 وحتى عام 1959م) احتجاجًا على انخفاض الأجور، وقد أحرزت حركات مقاطعة الحافلات في مقاطعات إيفاتون وألكسندرا وجوهانسبرج نجاحًا شجع مواطني جنوب إفريقيا على الاستمرار في الاحتجاجات الوطنية.

وقد ساهمت حركة مقاطعة الحافلات الناجحة في جوهانسبرج في خلق مناخ من المقاومة الوطنية، وبرز قادة أكفاء من خلال هذه المقاومة، وبالرغم من عدم مشاركة المؤتمر الوطني الإفريقي في حركة مقاطعة الحافلات، إلا أنه دعا على إثر نجاحها إلى مقاطعة الشركات القومية ومنتجاتها، وشهدت أواخر الخمسينات عددًا من الأنشطة والحركات الأخرى نتاجًا لما أفضت إليه حركة مقاطعة الحافلات من إحساس الأفارقة بمزيد من الثقة بقوتهم وبفاعلية الكفاح الوطني( ).

وبعد نجاح حزب المؤتمر الإفريقي بقيادة المناضل نيلسون مانديلا،

( ) أحمد عبد الحكيم، هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث- بيروت – الدار العربية للعلوم 2007.

وإجبار حكومة الأقلية على الاعتراف بالحقوق الدستورية الكاملة لكل المواطنين، أصبح لكل مواطن - بغض النظر عن لونه أو عرقه أو دينية- حق التصويت والمشاركة في الانتخابات على أساس « one vote one man».

في نيسان / أبريل 1994م أجريت أول انتخابات برلمانية غير عنصرية، شارك فيها 86 بالمائة من الناخبين، وفي أيار / مايو من تلك السنة، اجتمع البرلمان الجديد لأول مرة بصفته جمعية تأسيسة، وفي أوساط التسعينات من القرن الماضي أصبحت العملية الدستورية في جنوب إفريقيا المثال الكامل لعمليات الدساتير القائمة على مشاركة المواطنين.

الاستراتيجية الفعالة لحزب المؤتمر الإفريقي:

التنوع من شقاقي إلى اشتمالي:

«في السابع والعشرين من شهر أبريل / نيسان 1994م، أرسى شعب جنوب إفريقيا أمة على أساس التعهد بأننا سنمحو إرث ماضينا المجزأ؛ لكي نبني حياة أفضل للجميع.

«لم يكن هذا عهد قطعناه باستخفاف، لقد دفع الملايين إلى بؤرة الفقر عمدًا عبر أجيال، ولكي يخلد نظام التفرقة العنصرية نفسه، كانت القوة الغاشمة وحدها هي التي تحافظ على النظام «الأبارتيد» ذاك، الذي ادعى أنه مكرس بإدارة السماء، فسلبنا جميعًا إنسانيتنا، المقموعين منا

والقامعين على حدٍّ سواء، لقد ناضلنا خلال عقود من الزمان من أجل مجتمع غير مميز عنصريًّا، غير مميز جنسيًّا، وحتى قبل وصولنا للسلطة في الانتخابات التاريخية عام 1994م، كانت رؤيتنا للديمقراطية محكومة بمبادئ من بينها مبدأ يقول: إنه لا يجوز أن يتعرض أي شخص أو تتعرض أي مجموعة من الأشخاص للاضطهاد أو الإخضاع أو التمييز بسبب العرق أو الجنس أو الأصل الإثني أو اللون أو العقيدة، وما إن وصلنا إلى السلطة حتى قررنا اعتبار تنوع الألوان واللغات مصدرًا للقوة، بعد أن كان يستخدم في الماضي للتفرقة بيننا، لقد ضمنا أن القانون الأساسي للبلاد - دستور وميثاق حقوق المواطنين - يعزز الوحدة الوطنية، ويوجه اهتمامًا خاصًا إلى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

لم يكن طريقنا نحو الاندماج جديدًا، كما لم يتم اختياره بتسرع؛ إذ كان المؤتمر الإفريقي يدعو طيلة عقود إلى الوحدة الوطنية، وحتى في ذورة العنف والقمع عندما كان الاختلاط العرقي يُوصل للسجن أو الموت، لم نتخل أبدًا عن هدفنا في بناء مجتمع قائم على الصداقة، وعلى الإنسانية المشتركة.

والآن على الرغم من القوانيين لم تعد تقوى الانقسامات القديمة، فإنها ما زالت ماثلة للعيان في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مناطقنا السكنية، وفي أماكن العمل، وفي اتساع شقة عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء.

عندما تولينا مشروع تحويل مجتمعنا، كان أحد شعارات نضالنا:

«التحرر من العوز»، وكان هدفنا القضاء على الجوع والفقر والأمية والتشرد، وضمان الحصول على الغذاء والتعليم، ورأينا الحرية صنوًا لا ينفصم عن الكرامة والإنسانية والمساواة بين البشر، الآن وُضع الأساس لحياة أفضل وبدأ البناء، ونحن نُدرك تمامًا أن حريتنا وحقوقنا لن تكتسب معناها الكامل إلا عندما ننجح معًا في التغلب على انقاسامات ماضينا وإجحافاته، وفي تحسين حياة الجميع وبخاصة الفقراء.

اليوم نبدأ في حصاد بعض النتائج التي غرسناها في نهاية مجاعة جنوب إفريقيا، ثمة كثيرون في المجتمع الدولي ممن راقبوا عن بُعد كيف تحدى مجتمعنا نُذراء الشؤم ونكهتاهم بنزاع لا ينتهي، يتكلمون عن معجزة، لكن أولئك الذين شاركوا في عملية التحول إلى ما نحن عليه الآن، سوف يعرفون بالتاكيد أن ذلك التحول كان نتيجة قرار اتخذه بشر"

تكنيكات التلاحم بين السود والبيض:

1- المساواة في التوظيف

عند انتهاء نظام التفرقة العنصرية (الأبارتايد) في عام 1995م، كان البيض يشكلون نسبة 13٪ من السكان، ويجنون 59٪ من الدخل الخاص، فيما كان الإفريقيون الذين تبلغ نسبتهم 76٪ من السكان يحصلون على 29٪، وأظهر مسح أجري في عام 2000م، وشمل 161 شركة كبيرة توظف 560 ألف عامل، أن البيض ما زالوا حتى ذلك الحين يحتلون 80٪ من المناصب الإدارية، كذلك كان الفارق العنصري

في الأجور كبيرًا، وإن كان قد تناقص بنسبة كبيرة عن ذي قبل؛ إذ في أواخر تسعينات القرن الماضي كان العمال البيض يكسبون أجورًا يزيد معدلها خمس مرات عن أجور الإفريقيين، رغم أن نصف هذا التفاوت كان يعلل بفارق التعليم والمكان.

في فترة ما بعد الأبارتايد، بدأت الحكومة الديمقراطية بتطبيق سلسلة من البرامج المصممة لتخفيض هذه الفوارق؛ فقانون المساواة في التوظيف الصادر في عام 1998م يفرض على أصحاب العمل أن يقدموا معلومات عن مبالغ التعويض والمنافع في كل فئة مهنية على أساس العنصر والجنس، وأن يتخذوا الإجراءات الملائمة إذا كانت هناك اختلافات غير مناسبة في دخل العاملين، ويتعين على الشركات التي يفوق حجمها حدًّا معينًا أن تزود الدولة بتقارير سنوية توضح وتخطط لجعل قواها العاملة تمثل التركيبة السكانية على جميع المستويات بشكل أفضل.

يقول القانون أيضًا: إن نقص الخبرة اللازمة لدى فرد من مجموعة مشمولة بالحماية ليس سببًا كافيًا لتوظيف شخص آخر مكانه، ما دام طالب العمل يمتلك القدرة على اكتساب المعرفة اللازمة للقيام خلال فترة زمنية معقولة، بالإضافة إلى ذلك تحدد مواثيق تمكين السود لكل صناعة أهدافًا لنسب الأسهم التي يجب أن تنتقل ملكيتها إلى السود (الإفريقيين الأصليين، والملونيين، والآسيويين)؛ كما نشرت مواثيق كهذه لقطاعات البترول والمناجم والمصارف، ويهدف هذا التوجه العام

إلى نقل ملكية حوالي ربع الأسهم في جنوب إفريقيا إلى أيدي السود خلال عقد من الزمن أو نحو ذلك.

ماذا حققت هذه الجهود؟ قرابة نصف المديرين من المرتبة المتوسطة وربع المديرين من المرتبة العليا في جنوب إفريقيا هم اليوم من السود، مقابل لا أحد تقريبًا قبل عشر سنوات؛ كما حصل السود على ترقيات سريعة بشكل خاص في القطاع العام؛ إذ لا يوجد منافسون للحكومة، غير أن الحكومة التي رفعت عددًا كبيرًا ممن لا يتمتعون بمؤهلات كافية، اضطرت إلى توظيف عدد كبير من المستشارين لمساعدة هؤلاء؛ لكن ذلك الوضع تغير، فالفعالية قضية مطروحة للنقاش، حيث تعليمات المشتريات على أن الشركات التي يملكها سود تستطيع أن تطلب ثمنًا أعلى وتكسب عقودًا حكومية رغم ذلك، الأمر الذي يبقي أموالاً أقل للمصانع العامة كالطرق والمساكن والجسور.

أما بالنسبة لمواثيق تمكين السود، فلم يتضح بعد كيف سيمول نقل ملكية الأسهم هذه؛ لأن الممارسات الراهنة لتمكين السود لم تخلق منتجات جديدة أو شركات مستقلة جديدة لا تدعمها شركات كبيرة يملكها البيض، كما يقول المعلق المعروف «مولتشي موبيكي».

2- اللغات والدستور الجديد

حاولت جنوب إفريقيا توسيع مجالات الاختيار أمام الذين لا

يعرفـون الإنكليزيـة والإفريقانيـة بالـدعوة إلى اعتمـاد 11 لغـة رسميـة معترفًا بها في الدستور (منذ 1994م)، منهـا 9 لغـات للـسكان المحلـيين، بالإضـافة إلى الإنكليزيـة والإفريقانيـة، ورغـم وجـود برنـامج طمـوح للترجمة في المحاكم يبرز معظم الدول الأخرى، ما زال هناك تحيـز لـصالح الإنكليزية؛ فقد أظهرت دراسة عن المحاكم في كواكوا في «الولاية الحـرة»، وهي منطقة يتكلم معظم سكانها لغة سيسوتو، أنـه حتـى عنـدما يكـون القاضي والمدعي والمتهم إفريقيين ويتكلمون لهجة سـوتو الجنوبيـة كلغـة أم، فـإن إجـراءات المحاكمـة تـدار بلغـة إنكليزيـة مـن الدرجـة الثانيـة، وبمساعدة مترجم تعينه المحكمة يترجم من لغـة ستـسوتو، وإليهـا لفائـدة المتهم.

فقادة حركات التغيير الحضاري داخل الأقـاليم المتعـددة العرقيـات واللغات يمشون على حقل مملـوء بالأشـواك، والجهـد المبـذول مـنهم في صياغية استراتيجية مناسبة وأدوات فاعلة وصياغة خطاب يتناسـب مـع العرقيات في الإقليم، يزيد عن الجهد المبذول لحركات التغـيير الحـضاري التي تعمل وسط إقليم متحد العرق والدين واللغة.

* * *

نموذج ماليزيا:

((عند الاستقلال في أواخر خمسينات القرن العشرين، كان شعب الملايو وغيره من مجموعات السكان الأصليين (البوميبوتيرا) متخلفين كثيرًا عن الأقلية الصينية في المجال الاقتصادي، رغم أنهم يشكلون الغالبية العددية، لم يكن الملايويون يملكون إلا 10٪ من الأعمال التجارية المسجلة و15٪ من رأس المال المستثمر.

وأعطى الدستور الجنسية للصينيين والهنود المقيمين في البلاد؛ ومنح الملايويين في الوقت ذاته حقوقًا خاصة في ملكية الأرض، ووظائف الحكومة، والتعليم، ورخص التجارة، في أعقاب أعمال شغب عرقية حدثت في شهر مايو/ أيار 1969، أقرت الحكومة سياسة اقتصادية جديدة للقضاء على الفقر بين جميع الماليزيين، وإعادة هيكلية المجتمع الماليزي؛ لتخفيض التماهي بين العنصر وبين النشاط الاقتصادي والموقع الجغرافي، ومن ثم لإزالته في نهاية المطاف عبر التوسع السريع للاقتصاد.

وأصدرت الحكومة قوانين خصصت للملايويين حصصًا في رخص التجارة والأعمال، ونسبًا عادلة في الملكية؛ كما قدمت لهم مساعدات خاصة من خلال القروض والتدريب ومواقع الأعمال التجارية، وكذلك اشترت الحكومة أسهمًا في شركات خاصة لحساب السكان البوميبوتيرا، بهدف الحصول على نسبة 30٪ من ملكية هذه الشركات.

وفي حين ارتفعت مستويات الدخل لمختلف المجموعات منذ عام

1969م، تناقصت فوارق الدخل بين المجموعات، وهو إنجاز مثير للإعجاب، لكن تفاوتات الدخل ضمن المجموعات ازدادت منذ أواخر ثمانينات القرن الماضي، خصوصًا بين البوميبوتيرا؛ حيث اتسعت الهوة بين الأغنياء والفقراء اتساعا كبيرًا، وعلى الأرجح أن إساءة استخدام الميزة العرقية، وبخاصة من جانب ذوي العلاقات السياسية النافذة، ساهمت في التغريب الثقافي خلال العقود الماضية؛ فارتفعت أصوات معارضة بين السكان الملايويين.

وبما أن الحكومة صارت تقرر إلى حدٍّ كبيرٍ فرص التخصيص على أسس استنسابية منذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين، ترددت اتهامات باستغلال النفوذ السياسي، وفي الوقت الذي تحققت خلاله – إلى حد بعيد- الأهداف الاجتماعية والاقتصادية المحددة للبرنامج الاقتصادي الجديد؛ ظلت الوحدة الوطنية صعبة الإنجاز بعض الشيء؛ فالمماهاة الحصرية تقريبًا للعلاقات «البيعرقية» المحسنة، مع تخفيض تفاوتات المشاركة في مجتمعات التجارة والأعمال والطبقة المتوسطة، أثارت قدرًا كبيرًا من الامتعاض والارتياب العرقيين لدى كلا الجانبين ( ).

( ) تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004.

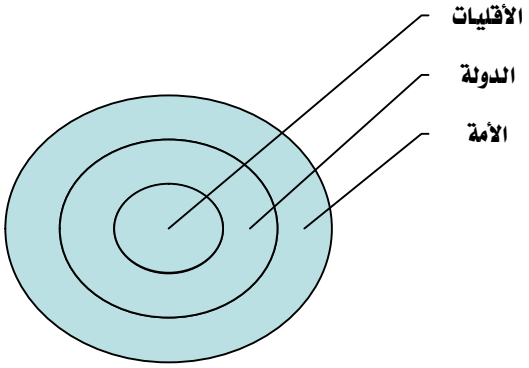

شكل رقم (10)

مصر:

منذ فجر التاريخ يبرز الشعب المصري كوحدة جنسية متحدة الأصل ومتجانسة بقوة في الصفات والملامح الجسمية، وظل الشعب محافظًا على هذا التجانس حتى اليوم، دون أن تحدث أي ابتعادات ملموسة عن نمطه الأول القديم، ما زال التشابه قائمًا حتى الآن بين ملامح المصري القديم في العصر الفرعوني والمصري في العصر الحالي.

يقول برودريك: «من الواضح طوال الستة آلاف سنة الأخيرة أو يزيد، لم يكن أي تغير في مظهر جمهرة المصريين، فمصريو الأسرات

والفلاحون الذين تراهم يعملون في الحقول اليوم كلهم من نفس النمط»( ).

ومع دخول الإسلام لمصر لم يشكل عامل تفرقة وتمييز، وإنما أزكى روح التسامح والتعاطف والوحدة بين أفراد الشعب المصري؛ فمن اختار الإسلام ظلَّ مصريًّا وطنيًّا، ومن اختار أن يبقى على المسيحية ظلَّ مصريًّا وطنيًّا يتمتع بكامل الحقوق، ويتحمل كامل الواجبات.

ومن أبرز حركات التغيير المصرية الحديثة التي نجحت في استيعاب كل أطياف وديانات الشعب المصري ما يعرف بثورة 1919م، والتي كان شعارها يحمل الهلال والصليب، وهذا الرمز يعبر عن تلاحم أبناء مصر جميعًا (المسيحيين والمسلمين)، ومن فعاليات الثورة كان خطباء الأقباط يخطبون في المساجد وخطباء المسلمين يخطبون في الكنائس( ).

فحركات التغيير في الإقليم المصري لن تصدم بقضية العرقيات والطوائف طالما أنها تنطلق من منطلق وطني يراعي كل المصريين.

الوضع المصري الراهن

هنا تبرز خطورة الوضع المصري الراهن الذي تنتشر فيه حركات أصولية صاعدة، تتصارع مع النظام السياسي القائم، وأخذ هذا الصراع أشكال عديدة، ومرَّ بمراحل مختلفة، بدءًا من استعمال العنف وانتهاءً

( ) جمال حمدان: شخصية مصر، الجزء الأول، القاهرة- دار الهلال.
( ) سلامة موسى: كتاب الثورات، سلامة موسى للنشر والتوزيع،1954.

بخوض هذه الحركات غمار العملية الانتخابية والدستورية، وتدعي بعضها امتلاك رؤية جديدة لشكل الدولة المصرية في المستقبل، وهذا الأمر يتطلب توضيحات كثيرة من هذه الحركات.

فالسؤال الأول: هل هذه الرؤية الجديدة سوف تزيد من تلاحم المجتمع المصري أم ستزرع بذور الشقاق؟! هل هذه الرؤية قائمة على مبدأ المواطنة أم على مبدأ الديانة؟!

ثم السؤال الأخير: ما هي القيمة المضافة للمجتمع والدولة المصرية لو تبني هذه الرؤية الجديدة؟ بمعنى آخر: ما هو الفرق بين رؤية هذه الحركات والوضع القائم حاليًا؟!

فلا بدَّ لقادة هذه الحركات من صياغة خطاب واستراتيجية تزيد من تلاحم النسيج الوطني المصري، ولا تدفع في مسار تمزيق النسيج المصري الذي ظلَّ عبر العصور متمسكًا.

وكما عرضت بعض النماذج الناجحة لدول أحسنت التعامل مع الاختلاف العرقي والديني واللغوي، من المفيد أيضًا معرفة بعض النماذج لدول أخرى تعثرت فى بعض فتراتها التاريخية فى هذا الملف بدرجة من الدرجات أو تحتاج لجهود إضافية للتغلب على هذة المشاكل العرقية والطائفية الداخلية.

* * *

نماذج فاشلة :

هناك دول فشلت في الحفاظ على وحدتها فى فترة من الفترات بسبب فقدان البوصلة في عقول قادة الحركات والأحزاب والتيارات التى ظهرت على أرضيها، فلا ترجع مشكلة سوء التعامل مع التنوع العرقي واللغوي فقط لوجود الأعراق واللغات المختلفة، بقدر ما ترجع لضيق أفق واستراتيجيات الحركات في كيفية التعامل مع الاختلافات العرقية واللغوية والمذهبية، والتي ربما تتبنى سياسات عدم قبول الآخر والاعتراف به، وربما تتبنى استراتيجية الأرض المحروقة ضد بعض الأقليات داخل الإقليم.

1- ألمانيا النازية

بروز الحركة النازية العنصرية على يد هتلر كان من أهم الدوافع القوية لتنامي العنصرية في داخل ألمانيا، وما ترتب علية من محاولات استئصال لبعض العرقيات من المجتمع الالماني وترتب على ظهور النازية أيضًا دخول ألمانيا في صراعات مع الدول المجاورة مثل النمسا وبولندا بدعوى لم شمل الجنس الآري الجرماني في دولة واحدة، وساهم في قيام الحرب العالمية الثانية بنصيب كبير.

2- النموذج اليوغسلافي:

بروز حركة ما يعرف بصربيا الكبرى في عام 1991م في جمهورية صربيا، والتي لا تعترف بحقوق الأقليات الأخرى الموجودة في الإقليم

(الكروات، والسلوفينين، والمقدونيين، والمونتينجر) أدى لما يعرف بمأساة البوسنة والهرسك( ).

3- العراق:

العراق كدولة يتكون من مجموعة من الأجناس المختلفة: عرب من 75٪ إلى 80٪، وأكراد من 15٪ 20٪، والتركمان 20٪( )، ولم ينجح العراق في التعامل مع الاختلاف العرقي والطائفي، ووقعت حوادث داخلية عنيفة للأقليات الموجودة، وخاصة للأقلية الكردية التي خاضت صراعًا مسلحًا مع النظام العراقي السابق في عهد صدام حسين، وزادت المشاكل العرقية وطفت على السطح بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م، ويتضح من ذلك حجم المشكلات الداخلية التي يعاني منها العراق، والدور المطلوب من قادة حركات العراقية.

كيف يعمل ميكانيزم المشاكل العرقية والطائفية؟

كيف تبدأ شرارة الأزمات العرقية والطائفية في الدول والأقاليم؟

السلطات الثلاث (التشريعية والقضائية والتنفيذية) من مهامها الأساسية توفير العدالة والمساواة لكامل المواطنين الموجودين داخل الإقليم، بغض النظر عن جنسهم وألوانهم أو دياناتهم، وسيادة المساواة

( ) إبراهيم الديب، الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية -1997.

( ) محمد عتريس: معجم بلدان العالم، دار الكتب القطرية- الدار الثقافية للنشر، ص87.

والعدالة كسقف يظلل الجميع يقلل من فرص اندلاع الأزمات الطائفية أو الفئوية داخل الإقليم، ولكن غياب هذا السقف من العدالة والمساواة عن بعض الفئات والطوائف داخل الإقليم يقدم قبلة الحياة للمشاكل الطائفية، فعندما لا يستطيع مواطن ما من طائفة محددة الحصول على حقوقه من خلال السلطة القائمة، يبدأ يتجه إلى استراتيجية الجدار الأخير، والمتمثل في الطائفة أو القبيلة؛ ليحاول بواسطتها الحصول على الحقوق، ومن هنا تكون كرة الثلج (المشاكل العرقية والطائفية) قد أخذت في النمو والتكاثر، وتصبح البيئة مهيأة لظهور الحركات العنصرية والطائفية.

علاقة الدين بالدولة:

اختلاف الأعراق واللغات والأديان داخل الإقليم سلاح ذو حدين، فهناك حركات تعتمد في استراتيجيها على مبدأ المواطنة، بغض النظر عن دين ولغة وعرق المواطن، وتكون بوصلتها أن كل المواطنين متساوين في الحقوق الدستورية والاجتماعية، وهناك حركات قامت على أساس التميز العنصري والعرقي والديني، فلا بدَّ لقادة الحركات أن يحسموا خياراتهم السياسية بدقة وشفافية، وخاصة فيما يتعلق بلمف الدين وعلاقته بالدولة، ومدى الترابط بينهما، أو نوع العلاقة بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية، وعلاقة الدين بالسلطة القضائية والتشريعة، فلا بدَّ للحركات التي تسعى إلى إحداث تغيير عميق وشامل في دولها - يشمل إصلاحات دستورية واجتماعية واقتصادية - أن

تضمن للناس الحرية والعدالة والمساواة، وأن تجيب على هذه الأسئلة بوضوح: هناك أنماط سياسية عالمية متعارف عليها في قضية علاقة الدين بالدولة.

الأشكال العديدة للدول العلمانية وغير العلمانية وتأثيراتها على الحرية الدينية

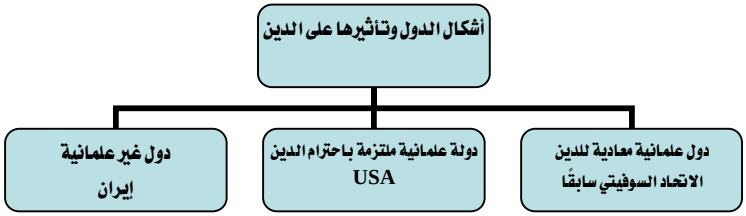

شكل رقم (11)

تعامل الدول الدين بطرق مختلفة الدول غير العلمانية:

"تعترف الدول غير العلمانية رسميًا بديانات معينة، ويمكن لهذا الاعتراف أن يتخذ أشكالاً مختلفة، بحسب الروابط الرسمية والمادية القائمة بين الدول والسلطة الدينية.

- دولة محكومة بالقانون الإلهي، أي: دولة خاضعة لحكم رجال الدين كما في جمهورية إيران الإسلامية، التي يحكمها آيات الله، أو أفغانستان إبان حكم طالبان.

• دولة يكون فيها دين واحد متحالف رسمي مع الحكومة، أي أن فيها دينًا «مقررًا»، من الأمثلة على ذلك الإسلام في بنجلادش وليبيا وماليزيا، والهندوسية في النيبال، والمسيحية الكاثوليكية في الأرجنتين وبوليفيا وكوستاريكا، والبوذية في بوتان وبورما وتايلاند.

• دولة لها كنسية أو ديانة مقررة أو معترف بها، ولكنها مع ذلك تحترم أكثر من دين واحد، كما تعترف بجميع الأديان، وربما تحاول رعايتها جميعًا دون تفضيل أي منها على الآخر، قد تفرض دول من هذا النوع ضريبة دينية على جميع المواطنين، ومع ذلك تعطيهم الحق في توجيه أموال الضريبة إلى منظمات دينية يختارونها بأنفسهم، ومن الممكن أن تساعد ماليًا مدارس تديرها مؤسسات دينية، لكن المساعدة تكون بطريقة غير تمييزية، من بين الأمثلة على هذه الدول: السويد، والمملكة المتحدة، وهما علمانيتان أساسًا، ولدى كل منهما دين «مقرر»، من حيث الاسم فقط، من الأمثلة على هذا النمط من الدول اللاعلمانية الدنمارك وأيسلندا والنرويج.

الدول العلمانية المعادية للدين:

تستبعد الدول الدين من شئونها هي، لكنها لا تستبعد نفسها من شئون الدين، فالحق في الحرية الدينية محدود جدًّا في مثل هذه الدول، وغالبًا ما تتدخل الدولة لقمع الحريات والممارسات الدينية، من الأمثلة على ذلك: النظام الشيوعي في الصين، والأنظمة الشيوعية السابقة في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية.

الدول المحايدة أو غير المرتبطة:

هناك طريقتان للتعبير عن هذا النوع من الحياد، فقد تعلن الدول التزامها بسياسة «استبعاد متبادل» تشملها هي وجميع الأديان على السواء، أو «الفصل الصارم بين السلطات والدولة، ولا يعني ذلك فقط أن الدولة تمنع السلطات الدينية من التدخل في الشئون الداخلية للمجموعات الدينية، وأحد مضاعفات هذا الاستبعاد المتبادل هو أن الدول قد تكون غير قادرة - أو غير مستعدة - على التدخل في أعراف محددة بأنها «دينية»؛ حتى عندما تشكل هذه الأعراف خطرًا على الحريات الفردية والقيم الديمقراطية، أو ربما تكون للدولة سياسة محايدة إزاء جميع الأديان، وأوضح الأمثلة على ذلك ولاية فرجينيا الأمريكية، بعد إلغاء صفة المقررة عن الكنيسة الإنجليكانية في عام 1786م، والولايات المتحدة، بخاصة بعد التعديل الأول للدستور في عام 1791م، وفرنسا وخصوصًا بعد قانون فصل الدين عن الدولة في عام 1905م.

الدول العلمانية الملتزمة بالاحترام المتبادل والابتعاد المبادئي:

تكون الدولة علمانية، بمعنى أنه ليست لديها كنيسة أو ديانة مقررة رسميًّا، ولا ترقي دينًا فوق الأديان الأخرى، بل توفر الاحترام المتساوي لجميع الأديان «ولغير المؤمنين»، لكنها مستعدة للدفاع عن المبادئ العالمية لحقوق الإنسان والمساواة في المواطنة، وقادرة على التدخل في الشئون الداخلية للمجموعات الدينية بما يمكن تسميته «الابتعاد

المبادئي»، وقد يتخذ هذا الارتباط شكل الدعم اللامتحيز للأديان - مثل التمويل الحكومي للمدارس الدينية، أو اعتراف الدولة بقانون الأحوال الشخصية الديني - أو حتى بالتداخل لرصد وإصلاح الممارسات الدينية التي تتناقض مع حقوق الإنسان، مثل تنظيم المدارس الدينية أو إصلاح قوانين الأحوال الشخصية لضمان المساواة بين الجنسين.

في الابتعاد المبادئي يعتمد تدخل الدولة أو عدم تدخلها على ماهية الإجراءات التي تقوي حق الحرية الدينية والمساواة في المواطنة، وقد لا تتعامل الدولة بالطريقة نفسها تمامًا مع كل ديانة، أو لا تتدخل إلى الدرجة ذاتها أو بالأسلوب عينه، لكنها تضمن أن تكون العلاقات بين المؤسسات الدينية والسياسية مسيرة بهدي المبادئ الثابتة وغير الطائفية للحرية وحقوق الإنسان.

من الأمثلة على ذلك: الصياغة العلمانية في الدستور الهندي، ففي حين يثير ازدياد العنف الطائفي شكوك المراقبين حول المصداقية العلمانية للسياسيين الهنود هذه الأيام، رسخ الدستور علمانية الدولة في الهند، وكانت سياسة العلمانية والابتعاد عن المبادئ هي التي مكنت الدولة الهندية في السنوات الأولى بعد الاستقلال من الاعتراف بقوانين الأعراف، وشرائع مجتمعات الأقليات الدينية وطقوسها وتسهل اندماجها الثقافي، ومن أجل الدفاع عن مبادئ المساواة والحرية، أصلحت الهند مجموعة من الممارسات التقاليدية، ومثل منع الأشخاص

الذين كانوا منبوذين من دخول المعابد».

وعرض هذه الأنماط لا يعني التحيز لها أو حصر فرص الإبداع أمام الحركات في إيجاد أنماط سياسية جديدة تتوافق مع واقعهم الجغرافي والإقليمى والسكاني، ولكن كلما كان النمط يكفل لجميع المواطنين المساواة والعدالة والحرية، كلما كانت فرص نجاحه أكبر، وكلما كان الوضع السياسيي المحلي أكثر استقرارًا وأمنًا، فلا بدَّ لحركات التغيير الشامل أن توضح للجماهير رؤيتها لمستقبل الدولة الدستوري والسياسيي، وما هو العائد عليهم لو ساندوا رؤية هذه الحركة دون غيرها من الحركات والأحزاب المتنافسة.

فى نهاية المطاف نكون قد إنتهينا من عرض ملف بالغ الخطورة يؤثر بشكل كبير فى مدى فرص نجاح وفشل الحركات التغييرية .

ملخص الفصل الثاني

- Ô الثلاثية الحساسة التى تواجه الحركات هى قضايا اختلاف (العرقيات والديانات واللغات).
- Ô لا بدَّ للحركات أن تحترف حسن التعاطي مع الثلاثية الحساسة
- Ô ينبغي للحركات أن تفرق بين المكاسب الصلبة والمكاسب الهشة
- Ô ينبغي للحركات ألا تقع فى فخ الخرافات العرقية الخمسة
- Ô لا بدَّ الحركات الجديدة أن تدرس تجارب الحركات التى نجحت فى التعامل مع الثلاثية الحساسة.
- Ô (تجربة جنوب أفريقيا وماليزيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي)
- Ô المعادلات الذهبية:

- حركة تغييرية + حسن تعامل مع الثلاثية الحساسة = مجتمع قوي.
- حركة تغييرية + سوء تعامل مع الثلاثية الحساسة = مجتمع مفتت.

الفصل الثالث

ينبغي لحركات التغيير أن تتعامل مع كبر حجم السكان فى الإقليم كنقطة قوة، وليس كنقطة ضعف.

المجموعة الجيواستراتيجية للدراسات

الفصل الثالث:

يتميز كل إقليم بعدة سمات طبيعة وبشرية عن الأقاليم الأخرى، والتركيبة السكانية للإقليم تعدُّ من أهم السمات التي تميز إقليم عن الآخر، فسكان الإقليم هم القوة المتحركة على صفحة الإقليم الطبيعية، فمن خلال المستوى الاقتصادي والتعليمي لهم تقاس مدى قوة أو ضعف الأقاليم في المنتظم السياسي العالمي، بالإضافة لطبيعة الحجم السكاني فى الإقليم، فلو اجتمع لإقليم ما الحجم السكاني الضخم مع التقدم العسكري والاقتصادي والتكنولوجي. (نموذج الولايات المتحدة)، تصبح قدرة هذه الدول على لعب دور استراتيجي وحيوي فى الساحة السياسية العالمية عاليًا.وكما يؤثر حجم السكان على صورة الإقليم الخارجية بشكل عام يؤثرأيضاً بنفس القوة والمقدار على الحركات التغييرية فى داخل الإقليم (الدولة)

مستوى حجم السكان في الإقليم ينعكس على الحركات التغييرية من جهتين:

1- حيوية الحركات وتجددها بتوفر القادة المبدعين والأنصار المؤيدين.

2- كثرة الحركات المتدافعة حول كسب الجماهير الغفيرة يدفع الحركات إلي إحتراف إستراتيجات كسب وحشد المؤيدين .

شرارة الإبداع

فكلما كثر عدد السكان كلما قلت فرص العمل المعروضة، فيزداد التحدي وتتعدد المواهب وتزداد المنافسة والحرص على التميز، وهذا التحدي يدفع الأفراد والمؤسسات لامتلاك كثير من المهارات التي تجعل فرص منافساتهم أقوى وأفضل، فالوفرة البشرية بطبيعتها تؤدي إلى وفرة الكوادر النوعية في العديد من المجالات المختلفة (السياسية، الصناعية، الاقتصادية، الاجتماعية).

ومن خلال التعرف على التجربة الإسلامية والأوربية في التوسع كنموذجين لحركات تغييرية (عابرة للحدود) في مفهومنا المعاصر يتضح لنا مدى حساسة قضية حجم السكان لحركات التغيير القديمة والمعاصرة.

التوسع الأوربي:

فما حدث من توسع أوربي على مستوى الرقعة العالمية، متمثل في حركة الكشوف الجغرافية والوصول لأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، واكتشاف الذهب في أمريكا الجنوبية، السيطرة على قارة أستراليا، والسيطرة على القطبين الشمالي والجنوبي، بالإضافة إلى السيطرة على الفضاء الخارجي والوصول للقمر والكواكب الأخرى، بالرغم من أن أوربا تعد أصغر قارات العالم باستثناء أستراليا، فمساحتها 3،781،000 ميل مربع فقط، كما أن

مساحة أوربا أقل من ربع مساحة آسيا وحوالي ثلث مساحة إفريقيا، وأقل من نصف مساحة أمريكا الشمالية، مساحتها تمثل 1/ 15 من مساحة اليابس، إلا أنها كانت تضم 1/ 4 سكان العالم، فقد كانت أشد القارات ازدحامًا بالسكان في تلك الفترة، يرجع الفضل الأساسي في هذا إلى الحجم السكاني الضخم لأوربا في هذه الفترة، مقارنة بالأقاليم المجاورة، بالمعنى الجغرافي مثلت أوربا مناطق طرد سكاني( ).

التوسع الإسلامي:

المشروع الإسلامي كحركة تحريرية صاعدةلم تستقر ككيان سياسيي وسط الإمبراطورية الفارسية والرومانية إلا عندما بسطت نفوذها على المخزون البشري الضخم في كل من العراق ومصر، وباعتناق الكثير من أهل مصر والعراق للإسلام، حقق المشروع الإسلامي الوقود البشري اللازم لتمدد المشروع، ونترك ريشة الدكتور جمال حمدان ترسم لنا كيف تكونت هذه اللوحة في مشروع الحركة الإسلامية.

قواعد الإمبراطورية:

"والإحصائي وحده، تسبق زمانها وعصرها بقرون؟ أكانت حقًّا فلتة شيطانية أو نموًا طفيليًّا كما يصور بعض أعدائها؟ كيف انبثقت من «قلب ميت» في صحراء الجزيرة؟ وكيف جمعت بين أقاليم البر وأقاليم البحر؟ لا شكَّ أن مما يدعو إلى الحيرة والتساؤل حقًّا أن تستطيع قوى

( ) إبراهيم رزقانة: الجغرافية السياسية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1963.

الصحراء الطاردة – قاعدة أرضية شبه خاوية وموارد طبيعية شحيحة وإنتاج اقتصادي متواضع وكثافة سكانية هزيلة شفافة– أن تقهر وتخضع قوى البر والبحر التقليدية العتيدة (فارس شرقًا، وروما غربًا)، وفي مدى زمني يحسب بالسنين أكثر مما يحسب بالعقود.. معادلة صعبة!!"

إنَّ علينا ابتداءً أن نسلم موضوعيًّا بأن حوافز وقوى «ميتافيزيقية»، لا تستمد من الواقع المادي بل تتخطاه، تكمن خلف هذه الدينامية المتفجرة والحيوية الدافقة، ولا شكَّ أن جذوة الحماس الديني المتقدة هي التي ألهبت خيال المؤمنين، حتى تحولت بهم إلى شعلة ملتهبة، وتحولوا هم بها إلى مشعل مضيء. ( ).

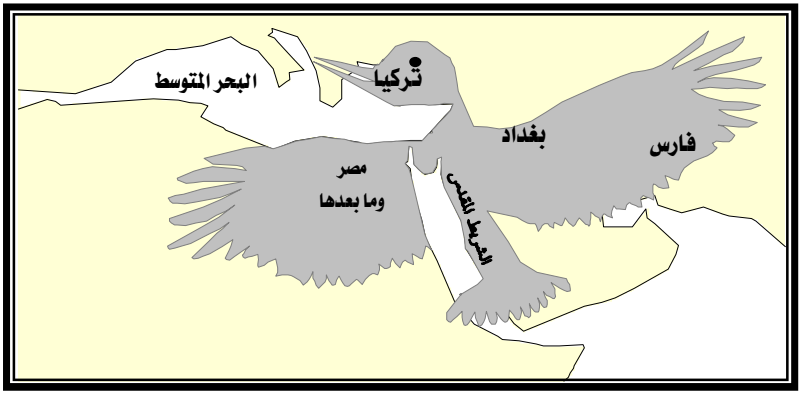

شكل رقم (12)

نلاحظ فى هذا الإطار: أن المشروع الإسلامي (الطائر) يملك قلب

( ) جمال حمدان: العالم الإسلامي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997.

متواضع بشري فى الشريط المقدس (مكة والمدنية)، والذي تكونت فيه شريحة البدء، وانطلق القلب نحو بناء أجنحه له من خلال الجناح الأسيوي، والذى تمثل فى فتح العراق وبموزاته جناح آخر هو الجناح الإفريقي الذى تمثل فى فتح مصر وشمال إفريقيا، بهذين الجناحين كُتِبَ للمشروع الإسلامي الحياة، والقدرة على البقاء من خلال تحويل الجناحين إلى نقاط انطلاق لمزيد من الفتوحات الإسلامية فى ذلك العصر.

والرأس فى هذا الإطار ترمز لما كان يسمة بالخلافة العثمانية، والتي ورثت العباسيين، وتحكمت فى قلب وجناحي الطائر الإسلامي حتى سقطت فى العام 1928 ميلادية.

الحلقة السعيدة:

ولعل الحلقة السعيدة التي تحف بقلب الجزيرة الميت هي البداية السعيدة، فحول مهد العرب دائرة متصلة أو شبه ذلك من الأراضي الزراعية الخصبة الغنية، تجعلها «كخرقة بالية حواشيها من الذهب».

الهلال الخصيب في الشمال بقطاعيه العراق والشام، وهلال خصيب آخر أقل غنى نوعًا في الجنوب يجمع الحسا وعمان وحضرموت واليمن والحجاز، ثم يغلق الدائرة وادي النيل في مصر.

فما إن يضع القلب الميت يده على هذه الحلقة المحدقة، إلا وقد ضمن لنفسه قاعدة أرضية عريضة، واحتياطًا عمرانيًّا مكثفًا، يكفل له كل عناصر القوة، فكان انتزاع الشام أولاً من الرومان، ثم العراق من

الفرس، ثم مصر الرومانية - كفيلاً بأن يمنح العرب عناصر القوة لمزيد من المواجهة مع تلك الإمبراطوريات.

فبفضل قطاعاتها البرية العريضة المتناظرة في مصر والعراق، استطاعت أن تنطاق برًّا وتنشر جناحها الأرضي؛ فكانت أرض الرافدين الفسيحة الخصبة هي «رأس الحربة» في توسع العالم العربي في آسيا؛ بحكم موقعها المتقدم شرقًا، ولعل هذا الدور هو الذي يفسر استقطاب السلطة، والحكم مبكرًا وطويلاً في بغداد العباسية، ويفسر معها حضارة دار السلام الرائعة القيمة، وبالمثل كانت مصر هي «رأس الجسر» في التوسع الإفريقي غربًا وجنوبًا.

كان هذا عرضًا سريعا للتجربة الأوربية والإسلامية فى التوسع، يتضح من خلالها التأثير الضخم لملف الحجم السكانى الذى يمثل وقود المحرك فى التجربتان، وفى الصفحات التالية سوف نستعرض بعض التجارب التغييرية المعاصرة والحية التى ربما صنع أحداثها أناس مازالوا على قيد الحياة، مما يوفر لنا فرصة جيدة لمعرفة تأثير الحجم السكانى على حركات التغيير؛ سواء الحركات التاريخية، أو المعاصرة، أو الحركات الحية التى ربما تمارس أنشطتها وقت كتابة هذه الصفحات، وسنتعرف على أثر ملف الحجم السكانى داخل الإقليم على حركة ماوتسى تونج فى الصين، وعلى الحركة الصهيونية العالمية.

ومن خلال استعراض تجربة ماوتسى تونج فى الصين، وتجربة الحركة الصهيونية، يتضح لنا أن ملف الحجم السكانى يمثل أحيانا رافعة

مساعدة للحركة من أجل حدوث التغيير (تجربة ماو)

وفى تجربة (الحركة الصهيونة متمثلة فى مشروع دولة إسرائيل) يمثل قلة الحجم السكانى فى إسرائيل، مقارنة بالحجم السكانى الفلسطيني، ودول الطوق العربية، نقطة ضعف ربما تُفشل أهداف الحركة الصهيونية التى من أجلها قامت في المحصلة النهائية الحجم السكانى كان حاضرًا ومؤثرًا في حراك الحركات التغييرية القديمة والمعاصرة .

أولاً : تجربة ماو تسي تونج فى الصين.

حركة ماو والطوفان البشري الصيني:

تحرك «ماو تسي تونج» في 29/ من أكتوبر سنة 1934م في مسيرته التي تسمى بـ«الزحف الطويل»، والتي من خلالها استطاع «ماو» نقل جمهوريته الجديدة بكامل هيئتها - مدنيين وعسكريين - من الأطراف الجنوبية للصين إلى أقصى شمالي الصين، وهي مسافة لا تقل عن ستة آلاف ميل سيرًا على الأقدام، في مناطق معادية، وتحت تهديد قوات «شيانج كاي شيك» التي تفوقها عددًا وقوةً بمراحل، جيش «ماو» بلغ تعداده خمسين ألف مقاتل من الفلاحين الحفاة، وكان خليطًا غريبًا من الرجال والنساء، قل أن يظهر بينهم الزي العسكري لعدم توافره!

أما أسلحة هذا الجيش؛ فهي على تنوعها وتباينها أشد عجبًا من هيكل الجيش نفسه، فهي بين بندقية أمريكية أو بريطانية أو روسية، أو سيف أو منجل أو سكين، أو خطاف مشدود إلى عصا! ووصل جيشة

لمنطقة شنسي بخمسة عشر ألف مقاتل، والباقي والذى يقدر بنحو 35 الف فرد فُقد في المعارك الممتدة مع قوات الكومنتانج، ورغم ذلك نجح في تعويض الخسائر في جيشة من المخزون السكاني الهائل في الصين، وخاصة أن شريحة الفلاحين التي كان يبلغ تعدادها في هذه الفترة 500 مليون فلاح كانت تمثل الشريحة الرئيسة فى مشروعة التغييري، بعد عام تقريبًا من رحلة الزحف الطويل أصبح عدد قوات «ماو» الثورية مليون فلاح( ).

فتعويض هذه الخسائر البشرية فى حركة «ماو» ما كان يمكن أن يتم بهذه السرعة، وهذه السهولة لولا تمتع الإقليم الصيني لما يعرف بالوفرة السكانية الهائلة، فهذه الوفرة كانت أحد العوامل التى ساعدت «ماو» على اتخاذ قرار نقل جمهوريته الوليدة نحو الشمال الصيني، وتحمل الخسائر البشرية الهائلة التى لو لم تكون هناك فرصة لتعويضها بسرعة لتعرض مشروع «ماو» للفناء والاندثار.

ويوضح النموذج التالي نسبة الأفراد القتلى والأحياء فى رحلة الزحف الطويل.

( ) ترجمة حسين الحوت، حمدي حافظ ـ ماوتسي تونج.. حياته وعصره ـ روي ماك جريجور هاستي ـ– القاهرة– الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ.

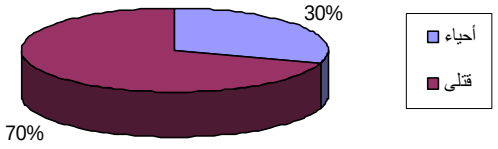

الشكل رقم (13)

ثانياً: الحركة الصهيونية والتحدي الديموغرافي:

ونبدأ بإستعراض الخلفية تاريخية للمنظمة الصهيونية العالمية من خلال التعريف على

اليهود في المنفى:

"عاش يهود أوربا في العصور الوسطى، في ظلِّ قانون خاص عرف بـ «قانون الأجانب» مما جعلهم معزولين ثقافيًّا وجغرافيًّا واقتصاديًّا عن المجتمعات الأوربية المحيطة بهم، ويمارسون في الأحياء اليهودية المعروفة «بالجيتو» حياة خاصة، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة، وكان نظام الأحياء اليهودية دليلاً ماديًا على حقيقة أساسية، سيطرت على حياة اليهود في الفترة قبل الثورة الفرنسية، كان انتصار الثورة الفرنسية عاملاً هامًا في تحرير يهود فرنسا والبلدان الأخرى التي وقعت تحت الاحتلال الفرنسي، وبالرغم من حالة الركود المؤقت التي عطلت سبيل عملية تحرير اليهود، وخاصة بعد هزيمة نابليون في معركة «واترلو» في عام 1815م، فإن من أبرز نتائج موجة اللبيرالية والتحرر تحطيم نظام الأحياء اليهودية في أوربا الغربية، مما أتاح لليهود فرصة الاختلاط

بالمجتمعات الأوربية، وأتاح لهم فرصة للاندماج في الجسم الأوربي، وما إن حصل التماس بين المجموعات اليهودية والمجتمعات الأوربية، حتى بدت الفروق العميقة بين الجهتين، سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو اللغوي، وقد ساهمت الحركات القومية الأوربية في تعميق هذه الخلافات بتأكيدها على قوميتها الخاصة، واعتبار المجموعة اليهودية في أوربا مجرد مجموعة من الغرباء"، وبالتالي ظهر داخل المجموعات اليهودية ردود أفعال متباينة نستعرض أهمها:

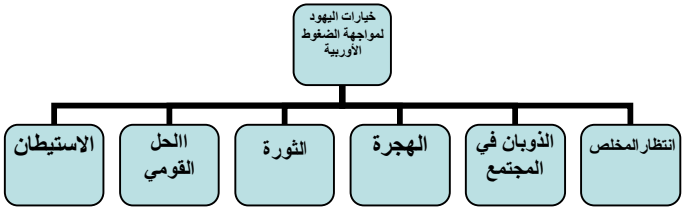

شكل رقم (14)

أ) **التدين وانتظار المخلص**:آمن أصحاب هذا الاتجاه أن الخلاص لليهود لن يتم من خلال جهد طبيعي إنساني، وأن الإله سيضع حدًّا لمشاكلهم بوساطة المخلص (المسيح المنتظر).

ب) الذوبان في المجتمعات أو الاندماج:

اعتقد بعض اليهود أنه طالما أن يهود العالم يصرون على التمسك بالتقاليد اليهودية، فلن تكون هناك نهاية لمعاناتهم، وأن الحل يكمن في انصهار المجموعات اليهودية في المجموعات الأوربية.

جـ) الهجرة:

نادى أصحاب هذا الحل بالتخلص من المشاكل عن طريق الهرب منها، ولهذا فقد آثر بعض اليهود الهجرة من أوربا الشرقية إلى أوربا الغربية، أو من أوربا بشكل عام إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وفلسطين.

د) الاستيطان (الاستعمار) غير السياسي:

ونادى به البارون «دي روتشيلد»، والبارون «موريس دي هيرش»، وهذا الأخير أنشأ الجمعية اليهودية للاستيطان (الاستعمار) في عام 1891م لخدمة هذه الأهداف.

و) الثورة:

عزا بعض اليهود ما يعانونه من اضطهاد ومشاكل إلى الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة في أوربا، ولذلك اعتقدوا أنه إذا ما ألغيت هذه الأوضاع بالثورة عليها، فإن ذلك التطور لا بدَّ وأن يؤدى تلقائيًا إلى تحرير اليهود، وراح هذا الفريق ينضم إلى الأحزاب الشيوعية والثورية.

و) القومية:

رفض أنصار هذا الرأي كل الحلول السابقة، ونادوا بحل «البحث عن القومية اليهودية»، مثل ما فعل المجريون والبولنديون، وقد نشط أنصار هذه المدرسة وسط المجموعات اليهودية الأوربية، وكونوا جمعيات

تدعم هذا الخيار (إنشاء وطن قومي لليهود).

المنظمة الصهيونية العالمية عقدت مؤتمرها الأول في التاسع والعشرين من شهر آب/ أغسطس من عام 1897م، وكان من أهم القضايا التي عامل معها بجدية عالية ملف توفير الشعب اليهودي لكيان الجديد (الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين)، واتفقت الحركة الصهيونية في مؤتمرها الأول على عدة إجراءات دفعت في اتجاه حشد الكثيرين من اليهود على مستوى العالم نحو أرض الميعاد، ومنها وضع البرنامج الصهيوني المعروف ببرنامج بال، وإقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الموضوع، وجاء قرار المؤتمر الرئيسي على النحو التالي: «إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين»، ولتحقيق هذا الهدف حدد المؤتمر الأربع خطوات التالية:

1- تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقًا لخطوط مناسبة.

2- تنظيم اليهود وتوثيق الصلات عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي.

3- تنمية الحس والوعي القومي اليهودي وتعزيزهما.

4- المباشرة في اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول،

حيث يكون ذلك ضروريًا لتحقيق هدف الصهيونية( ).

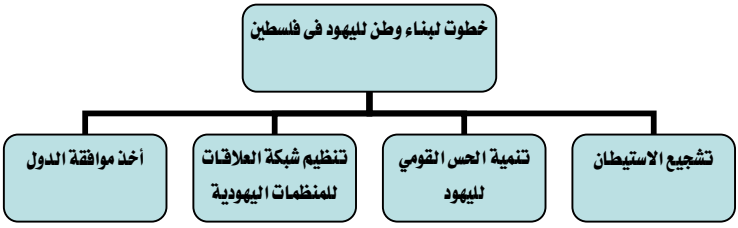

شكل رقم (15)

عندما أكمل البريطانيون احتلالهم لفلسطين سنة 1918م، وبدءوا بالإشراف بأنفسهم على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، كان عدد اليهود فيها حوالي خمسين ألفًا، أي: 8٪ من مجموع السكان مقابل 92٪ هي نسبة السكان العرب في فلسطين، وخلال ثلاثين عامًا من الرعاية والحماية البريطانية للمشروع الصهيوني، هاجر إلى فلسطين 483 ألف يهودي، وعند اندلاع حرب 1948م كان قد بلغ عدد اليهود نحو 650 ألفًا (أي: 31.9٪ من مجموع السكان)، أما الفلسطينيون العرب فبلغ عددهم مليونًا و390 ألفًا (68.1٪ من مجموع السكان)، ولم يكن اليهود يملكون سوى نحو 6٪ من أرض فلسطين.

ولذلك عندما صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين في

( )د/ أسعد عبد الرحمن- المنظمة الصهيونية العالمية 1882-1982- ، بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة الثانية، 1990.

نوفمبر/ تشرين الثاني 1947م، ورغم كل ما فيه من بطلان وظلم وإجحاف؛ حين أعطي 54٪ من فلسطين للمنطقة التي يفترض أن يسيطر عليها اليهود، فإن الصهاينة وجدوا أنفسهم أمام حقيقة أن هذه المنطقة يسكن فيها نحو 500 ألف يهودي مقابل 497 ألف عربي، وأن العرب – لو افترضنا نظريًا أنه لن تكون هناك حرب – سيتجاوز عددهم عدد اليهود في بضع سنين، ولن يكون هناك فرصة لإنشاء دولة يهودية.

ولذلك قام الصهاينة بحل هذه «المشكلة الديمغرافية» عبر تنفيذ أحد أبشع عمليات التطهير العرقي والمذابح في القرن العشرين، وقاموا بالسيطرة على 77٪ من أرض فلسطين، وهجروا نحو 800 ألف فلسطيني، سواء من تلك الأراضي التي قرَّرت لدولتهم، أم من الأراضي الأخرى التي استولوا عليها، وهذا يعني أن العنصر الأساسي في إنشاء الدولة اليهودية لم يكن الهجرة اليهودية بقدر ما كان عملية اقتلاع وتهجير الفلسطينيين من أرضهم.

في نهاية 1948م كان الصهاينة قد أعادوا صياغة البنية الاجتماعية والديمغرافية للأرض التي أنشأوا عليها كيانهم الإسرائيلي، فبلغ عدد السكان فيها 872 ألفًا منهم 716 ألف يهودي (82.2٪) و156 ألف عربي (18.8٪).

بنيت النظرية التوسعية الصهيونية على أساس «أرض أكثر، وعرب أقل»، وعلى أساس فكرة «القضم والهضم»؛ بما يعني تفريغ الأرض من

أهلها العرب وتهجيرهم بشكل يترافق مع الهجرة اليهودية، بحيث تحدث عملية إحلال اليهود مكان الوجود العربي.

فإذا ما تمت عملية «الهضم» وتحققت الأغلبية اليهودية، يتم احتلال (قضم) أرض عربية جديدة ليتم بعد ذلك تهويدها تدريجيًّا.. وهكذا.

وهذا ما حاولت إسرائيل فعله بعد حرب 1967م، عندما قامت بتهجير أكثر من 300 ألف فلسطيني، وضمت رسميًّا القدس والجولان، وقامت بهجمة استيطانية شرسة بنت فيها أكثر من 160 مستوطنة، وأسكنت فيها أكثر من 460 ألف مستوطن يهودي، ورغم هذا الجهد الفائق المبذول من المنظمة الصهيونية وغيرها من المنظمات الصهيونية العالمية في سبيل ضخ الهجرات اليهودية لفلسطين، ما زال الملف الديمغرافي وخاصة الحجم السكانى من أهم نقاط ضعف الكيان الإسرائيلي، ويتضح ذلك من خلال هذه المحاور:

نضوب الهجرة اليهودية:

"وعلى الرغم مما حققه المشروع الصهيوني من «إنجازات»، فإنه يواجه عددًا من التحديات السكانية «الديمغرافية»، ويشكِّل هاجس نضوب الهجرة اليهودية إلى فلسطين أحد أبرز هذه التحديات؛ إذ تمكن الكيان الإسرائيلي في الفترة (1948-2006م) من استجلاب نحو مليونين و900 ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين، ومن خلالهم تمكن من المحافظة على أغلبية ساحقة لليهود في إسرائيل.

كان المخزون الرئيسي الذي استقدمت منه إسرائيل مهاجريها اليهود في الفترة التي تلت إنشاؤها مباشرةً، وخصوصًا خمسينيات القرن العشرين - هو العالم العربي والإسلامي.

فخلال ثلاث سنوات (1948-1951م) تضاعف عدد اليهود في فلسطين بهجرة 687 ألف يهودي جاء منهم نحو 442 ألفًا من بلدان العالم العربي والإسلامي.

وقد أسهمت هجرة «يهود العرب» في توفير المادة البشرية واليد العاملة التي رسخت وجود الدولة العبرية، وأمدتها بعناصر النمو والحماية، فإن هؤلاء شكلوا أحد أعمدة المشروع الصهيوني.

ومع النصف الأول من ستينيات القرن العشرين كان مخزون اليهود العرب قد أشرف على النفاد، وللعلم فإنه في سنة 2005م كانت الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية تشير إلى وجود 493 ألف يهودي مغربي، و239 ألف يهودي عراقي، و142 ألف يهودي يمني، و122 ألف يهودي تونسي وجزائري، و69 ألف يهودي ليبي، و57 ألف يهودي مصري، و36 ألف يهودي سوري ولبناني، فضلاً عن يهود تركيا وإيران وغيرها.

ومع انهيار الاتحاد السوفييتي لجأ الصهاينة إلى استنفاد المخزون الهائل لليهود هناك وفي شرق أوروبا، وفي الفترة من (1989 وحتى نهاية 2006م) هاجر إلى إسرائيل مليون و224 ألفًا معظمهم من تلك البلدان.

كان واضحًا أن زخم الهجرة من روسيا وشرق أوروبا قد أخذ بالتراجع خصوصًا في السنوات الأخيرة؛ لأن معدل الهجرة الكلي إلى إسرائيل كان في حدود 20 أو 25 ألفًا سنويًّا، بعد أن كان هذا المعدل يقترب من حاجز مائة ألف سنويًّا خلال العقد الماضي.

وقد واجه الصهاينة مشكلة أن اليهود الذين يعيشون في الولايات المتحدة (نحو خمسة ملايين و700 ألف)، وفي دول أوروبا الغربية (فرنسا 600 ألف، وبريطانيا 300 ألف) لا يرغبون في الهجرة إلى إسرائيل بسبب أوضاعهم الاقتصادية الجيدة، ولذلك اتجهوا إلى استجلاب يهود الفلاشا من الحبشة، بينما ينصب كثير من الاهتمام هذه الأيام على ما يدعون أنه إحدى القبائل اليهودية في الهند، غير أن الحقيقة تظهر أن استجلاب اليهود إلى فلسطين قد وصل إلى مداه أو يكاد.

إشكالية التكاثر السكاني:

أما الهاجس الديمغرافي الثاني فيكمن في ضعف نسبة التكاثر لدى اليهود مقارنة بالفلسطينيين؛ إذ يبلغ معدل الزيادة السنوية لليهود في إسرائيل 1.85٪، وهي تقريبًا نصف معدل الزيادة السنوية للفلسطينيين البالغة 3.4٪.

وتلد المرأة اليهودية حاليًا ما معدله 2.6 من الأطفال (26 طفلاً لكل 10 نساء)، أما المرأة الفلسطينية فتلد ما معدله 4.2 أطفال (42 طفلاً لكل 10 نساء).

أما سنة 2020م فيتوقع حسب الإحصاءات الإسرائيلية نفسها أن

يصل عدد الفلسطينيين إلى ثمانية ملايين و200 ألف، مقابل ستة ملايين و300 ألف يهودي.

ينظر الصهاينة بقلق عميق إلى تزايد أعداد الفلسطينيين، وسمُّوا ذلك «قنبلة ديمغرافية».

الهجرة المعاكسة:

ويعيش المشروع الصهيوني إشكالية ديمغرافية أخرى مرتبطة بالهجرة اليهودية المعاكسة من إسرائيل؛ إذ أظهرت تقديرات نُشرت في أكتوبر/ تشرين الأول 2006م إلى أن ما بين 700 : 750 ألف إسرائيلي يعيشون خارج إسرائيل، يقيم 60٪ منهم في أمريكا الشمالية، و25٪ في أوروبا الغربية، كما أشارت معطيات السفارة الإسرائيلية في موسكو إلى أن خمسين ألفًا من المهاجرين الروس إلى إسرائيل في العقد الماضي قد عادوا إلى روسيا."( )

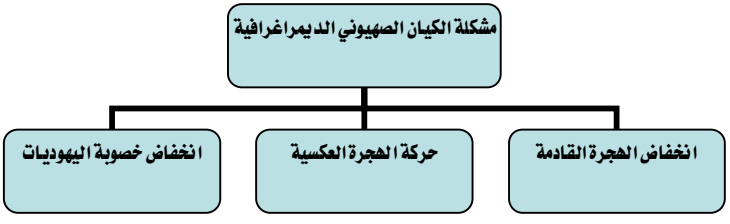

شكل رقم (16)

( ) دارسة لمحسن محمد صالح ، الجزيرة نت ،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/531DC6B9-4BF2-4E99-80B2-A8B0CA4CA6D9.htm#3

فالحركة الصهيونية تختلف عن كثير من الحركات من حيث التحديات التي تعاملت معها، فالحركات تنشأ أصلاً استجابة لتحد يقع على سكان إقليم ما، سواء كان هذا التحدي في شكل احتلال للإقليم (مثل حركة التحرر الهندية) أو وجود فئة مستبدة بمقاليد الحكم داخل الإقليم (الثورة الإيرانية).. إلى آخر العوامل، فالحركة تعمل وسط كيان بشري قائم داخل الإقليم ومستقر، وله جذور ديمغرافية ضاربة في التاريخ والجغرافية ومعترف به عالميًّا، أما الحركة الصهيونية فقد كان التحدي الأول لها إيجاد الإقليم أو الكيان على أرض الواقع، وتمثل ذلك في احتلال فلسطين تحت دعاوى أن فلسطين أرض بلا شعب، وسوف تُوهب لشعب بلا أرض، وأخذ هذا الهدف جهدًا من الحركة الصهيونية على كافة المستويات.

ثم كان التحدي الثاني بعد إيجاد الكيان، وهو إمداد هذا الإقليم بالحياة من خلال إمداده بسيل من الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين المحتلة، وهذا البند لا يقل أهمية عن إيجاد الكيان، حيث اشتمل على محاولات إقناع لليهود في الشتات بترك بلدانهم والانتقال لإسرائيل، وعلى توطين هؤلاء السكان بعد قدومهم، ومنح قروض ومغريات من حيث توفير السكن والحماية ووسائل الترفيه، وللدفع في هذا المسار ظهرت شعارات للقادة الصهانية مثل ابن جوريون: «إن الصهيونية تعني الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها».

وترتب على ذلك تفريعات منها:

1- مستقبل إسرائيل يعتمد على يهود العالم، تمامًا مثلما أن مستقبل يهود العالم يعتمد على بقاء إسرائيل، وهنا واجب الدولة الإسرائيلية «إنقاذ» اليهود من منفاهم، ورغم إرادتهم إذا اقتضى الأمر!

2- لا مجال لحياة يهودية كاملة خارج إسرائيل.

3- على كل من يصف نفسة بالصهيونية أن يبادر فورًا إلى تحقيق ذاته بالهجرة إلى إسرائيل، بما في ذلك القيادات الصهيونية( ).

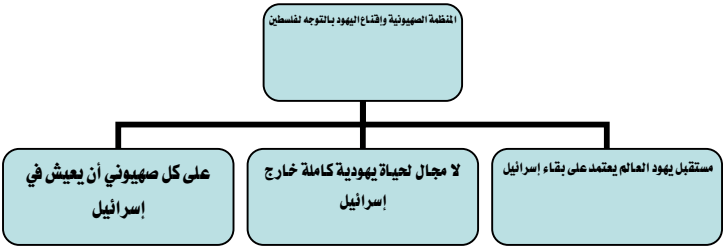

شكل رقم (17)

( ) تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004.

التحدي الثالث تمثل في الحفاظ على هذا الكيان وسط إقليم معاد، يحاصر هذا الكيان من كل الجهات الجغرافية (دول الطوق العربية: سوريا، ومصر، الأردن، ولبنان).

ويتضح من ذلك مدى صعوبة التحديات التي واجهت الحركة الصهيونية على كل المستويات، سواء الداخلية أو الإقليمية أو العالمية، ولكن كيف تغلبت الحركة الصهيونية على هذه التحديات؟ أحسب أن هذا يحتاج لدراسات أعمق وأشمل ليس مكانها هذا الكتاب الان .

* * *

ملخص الفصل الثالث

- Û ينبغي للحركات أن تتعامل مع كبر حجم سكان فى الإقليم كنقطة قوة، وليس كنقطة ضعف.
- Û يزيد عدد الحركات فى الأقاليم ذات الأحجام السكانية الكبيرة عن الأقاليم ذات الأحجام السكانية الصغيرة.
- Û هناك علاقة طردية بين بروز القادة والمبدعين وزيادة حجم السكان فى الأقاليم.
- Û المشكلة السكانية أحد نقاط ضعف المشروع الصهيوني فى المنطقة العربية
- Û المعادلات الذهبية:
  - إقليم +حجم سكاني كبير= كثرة فى عدد الحركات
  - حجم سكاني كبير +حركات تغييرية = توفر القادة والمبدعين
  - حجم سكاني كبير +حركات تغييرية = مجتمعات قوية
  - إقليم فقير سكانيًّا- حركات تغييرية = مجتمعات خامدة

الفصل الرابع

«الطغيـــــان حقيقـــــة تاريخيـــة ليـــست جغرافيـــة، وظـــاهرة تراثيـــة وليـــست وراثيـــة، أي: موقوتـــة مهمـــا طالت»( )

د/ جمال حمدان

( ) جمال حمدان: شخصية مصر- القاهرة- دار الهلال.

الفصل الرابع

«لا بـدَّ لحركـات التغـيير أن تـدرس الذاكرة التاريخية والثقافية للإقليم»

معرفة المحطات الرئيسة في تاريخ الإقليم التي أثرت في جسم الإقليم سياسـيًّا واقتـصاديًّا واجتماعيًّـا - مـن الأهميـة بمكـان، وتجاهـل قـادة حركات التغيير للسمات التاريخية للإقليم يمثل ثغرة في جدار اسـتراتيجية حركات التغيير.

"فالتاريخ: هو ذلك الفرع من المعرفة الإنسانية الـذي يـستهدف جمـع المعلومـات عـن الماضـي وتحقيقهـا وتـسجيلها وتفـسيرها، فهـو يـسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها، ولكنه لا يقف عنـد تـسجيل هـذه الأحداث، وإنما يحاول –عن طريـق إبـراز الترابـط بـين هـذه الأحـداث وتوضيح علاقة السببية بينها – أن يفسر التطـور الـذي طـرأ علـى حيـاة الأمم والمجتمعـات والحـضارات المختلفـة، وأن يـبين كيـف حـدث هـذا التطور ولماذا حدث"( ).

فكلمـا كـان قـادة حركـات التغـيير أكثـر وعيًـا بالـذاكرة التاريخيـة للإقليم، كلما كانوا أكثر وعيًا بشخصية الإقليم الذي يتحركون فيه ومن أجله، والتاريخ هو أحـد أدوات التغـيير، واسـتخدام التـاريخ – حـسب الاستخدام المنتشر – ليس استخدامًا حياديًا، بـل يـؤدي دورًا وظيفيًّـا في

( ) جاسم سلطان: فلسفة التاريخ، المنصورة، دار أم القرى، ، 2005.

عملية الصراع والتدافع في المجتمعات المختلفة.

ومن الشواهد على استخدام التاريخ كأداة في التدافع الحضاري، ما دُكر عن التفوق التاريخي للرجل الأبيض، كما عبَّر عن ذلك الجغرافي الأمريكي «هنتنجتن» (Huntington) بنظريته أن العناصر السوداء التي تتفق في توزيعها مع المنطقة الاستوائية تعيش في الحاضر، والأجناس البيضاء صاحبة المدنية الحاضرة تعيش في المستقبل، وأن الأجناس الصفراء تعيش في الماضي، وأن البيئة الاستوائية بلا تاريخ ولا مدنية، وهي تعيش على هذا المنوال منذ وجودها، ولن تتقدم ولن يستطيع سكانها بناء حضارة.( )

طرق استخدام التاريخ:

فينبغي أن يدرك قادة حركات التغيير المغزى النفسي والأيدلوجي خلف هذه النظريات التاريخية، والتي تدفع في اتجاه تسكين الأوضاع، وتأصيل نظرية عدم القدرة على الفعل، فحركات التغيير لا تعمل في فراغ، بل يقابلها خصوم معاندين يستخدمون كل الأدوات المتاحة والاستراتيجيات الممكنة للحيلولة دون بلوغ حركات التغيير لأهدافها، ومن هذه الأدوات التاريخ، وفي عالمنا العربي يُروج لكثير من الروايات التاريخية التي تدفع في اتجاه السلبية والتسليم بالواقع الموجود من خلال وسليلتان:

( ) الديب: الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية – 1997.

الأولى: عن طريق استدعاء التاريخ، والنبش فيه عن بعض الشواهد السالبة، ثم تضخيمها ومحاولة استخدامها لرسم صورة ذهنية يبدو من خلالها عدم القدرة على الحراك والفعل؛ فنابليون بونابرت كان يكرر دائمًا أنه لو كانت كل جيوشه كالمصريين لملك العالم، يعني أنهم يفعلون ما يؤمرون به ولا يعترضون.

واستعادة أقوال المقريزي في وصفه للمصريين: «إنهم يغلب على أخلاقهم الدعة والجبن وسرعة الخوف والنميمة والسعي إلى السلطان»، وأقوال الكاتب الأوربي «رينان» الذي وصف مصر بالعقم الذهني: «إنها –أي: مصر– لم يظهر فيها حتى تأثر واحد»( ).

وإبراز هذه الوقائع لبعض المؤرخين الغير منصفين للشعوب العربية، يهدف للتأثير على عقول الجماهير، وقبل الجماهير على عقول قادة حركات التغيير مثل: «قال العقل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة: وأنا معك، وقال الخصب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك!»( ).

الثانية: من خلال طرق عرض التاريخ

فالعرض الأوربي للتاريخ البشري يقسم بطريقة يبدو من خلالها للقراء أن مساهمة الحضارات الأخرى في الحضارة العالمية تبدو هامشية،

( ) سلامة موسى: كتاب الثورات، سلامة موسى للنشر والتوزيع،1954

( ) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، القاهرة ج1.

فيطلق على التاريخ الوسيط في المصطلح الأوربي «عصر الظلام»، بينما كان التاريخ العربي في هذه الفترة هو العصر الذهبي للحضارة في منطقتنا. ( )

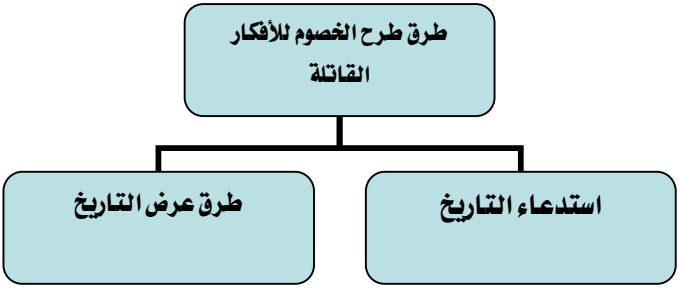

شكل (18)

ونستعرض الآن بعض الطرق الخاطئة لعرض التاريخ:

أولا :الجبرية الثقافية:

غريب أن يخرج من قادة الحركات التغييرية من يقول: إن عملية تقدم وتأخر الأمم والدول إنما تخضع لقاعدة أن: «هناك شعوب خلقت للتقدم وأخرى خلقت للتخلف والفقر»، ورغم غرابة القاعدة، وعدم استقامتها أمام حقائق التاريخ والجغرافيا والأنثربولوجيا، يمكن وضعها في إطار الحرب النفسية والدعاية السياسية بين الأمم، والتي تهدف إلى التأثير على معنويات الخصوم.

( ) جاسم سلطان: الذاكرة التاريخية، دار أم القرى، المنصورة، 2005.

ولكن أن يروج لهذه الفلسفة، والتي تعرف باسم «الجبرية الثقافية» في الدول المتعثرة سياسيًّا واقتصاديًّا على شكل تصريحات لقادة هذه الدول أو لقادة الأحزاب والحركات في هذه الدول - تفسيرًا لأسباب تأخر وتخلف دولتهم عن ركب الأمم، ففي أي إطار يمكن وضع هذه التصريحات من هؤلاء القادة!! هل يقصدون أنهم سوف يدخلون في عملية استيراد شعب آخر غير هذا الشعب الذي خرجوا منه؟!

هل يعني أنهم جربوا كل طرق ووسائل النهوض وفشلت، وبالتالي خرجوا بأن الخلل في جينات هذه الشعوب، وأنهم لا علاقة لهم بما يقع من تدهور وتخلف؟!

القائد الفاشل:

يمكن فهم هذه التصريحات في إطار أنها مؤشر فشل لكل من يصرح بها، سواء كان قائدًا لدولة أو قائدًا لحركة أو حزب من الأحزاب أو مؤسسة من المؤسسات، فهذه التصريحات تمثل شهادة وفاة لهؤلاء القادة الذين ينطقون بها، وتعني أيضًا فشلاً ذريعًا في قدرتهم على وضع استراتيجيات وآليات تدفع وتحفز الشعوب نحو النهوض والحراك، وتمثل فراغًا حادًّا في عقول ومشاعر هؤلاء القادة؛ فالمثل الصيني يقول: «الكيس الفارغ لا يقف مستقيمًا»، فعندما يقول قائد دولة أو حركة أو حزب: إنه لا أمل في هذا الشعب، وإن الخلل فيه حصريًا، تعني: أنه أطلق على نفسه رصاصة الرحمة، فالقائد الفاشل هو الذي يشكو من الجنود ومن صعوبة الظروف وخطورة الموقف وتعقد الأحداث، ودائمًا

شعاره: الوضع معقد جدًّا، وبالتالي لا يرى الجنود في عينيه بريق الأمل، وإنما تشاهد في قسمات وجهه بوادر الهزيمة واليأس، وتسمع في نبرات صوته نشيد الحزن وعبارات الأسى والرضا بالأمر الواقع.*

ثانيا :النظرة الأحادية للوقائع :

أولاً:لماذا تقدمت كوريا، وتراجعت غانا؟

لنأخذ هذه المحاجة المستقاة من الكتاب الشديد التأثير «قضايا ثقافية» الذي اشترك في تحريره «لورنس هارسون» و«ساميول هنتنجتون؛ ففي المقالة الافتتاحية (للثقافة أهمية) كتب هنتنجتون: في أوائل تسعينات القرن العشرين،" اتفق أني وقعت على بيانات اقتصادية عن غانا وكوريا الجنوبية في أوائل الستينات؛ وذهلت عندما رأيت مقدار التشابه بين اقتصادهما في ذلك الوقت... بعد ثلاثين عامًا، أصبحت كوريا الجنوبية عملاقًا صناعيًّا؛ لديها اقتصاد يحتل المرتبة الرابعة عشرة في العالم من حيث الحجم، وشركات متعددة الجنسيات، وصادرات كبيرة للسيارات والمعدات الإلكترونية وغيرها من المصنوعات المعقدة، ويعادل الدخل الفردي فيها تقريبًا الدخل الفردي في اليونان؛ كما أنها في طريقها إلى تعزيز مؤسساتها الديمقراطية.

لم تحدث مثل هذه التغيرات في غانا، والتي يبلغ دخلها الفردي اليوم 1/ 15 من الدخل الفردي في كوريا الجنوبية.كيف يمكن تفسير هذا الاختلاف غير العادي في التنمية؟

لا شكَّ في أن العديد من العوامل ساهمت في ذلك، ولكن يبدو لي أن للثقافة دورًا كبيرًا في التفسير.

فالكوريون الجنوبيون يقدرون حسن التدبير والاستثمار والعمل الجاد والتعليم والتنظيم والانضباط، في حين أن للغانيين قيمًا مختلفة، باختصار: إن للثقافة أهمية.

قد يكون هناك شيء مثير للاهتمام في هذه المقارنة الجذابة - بل ربما انتزع ربع الحقيقة من السياق - ويدعو التباين إلى تفحص عميق، لكن القصة السببية خادعة جدًّا؛ إذ كان هناك العديد من الاختلافات الهامة إلى جانب القابليات الثقافية بين كوريا وغانا في الستينات، عندما بدأ البلدان بالنسبة إلى هنتنجتون متشابهين كثيرا، لولا الثقافة.

لقد كانت السياسة مختلفة جدًّا، حيث الحكومة الكورية تتلهف للقيام بدور محرك رئيسي في إطلاق التنمية الاقتصادية المتمركزة حول الأعمال، بطريقة لا تنطبق على غانا، كما أن العلاقة الوثيقة بين الاقتصاديات الكورية واليابانية والأمريكية أحدثت فرقًا كبيرًا، على الأقل في المراحل الأولى للتنمية الكورية، ولعل الأهم أن نسبة التعليم في كوريا في الستينات كانت أعلى منها في غانا، وأن نظام المدارس كان أوسع بكثير، لقد حدثت التغيرات الكورية الكبيرة بمعظمها عبر سيايات عامة حازمة منذ الحرب العالمية الثانية، ولم تكن انعكاسًا لثقافة كورية قديمة فحسب، جرت بالطبع محاولات سابقة لاستخدام التمييز الثقافي

في تفسير التنمية الاقتصادية "( ) .

ثانيا: الدور الحاسم للأخلاقيات البروتستانتية:

"فقبل قرن من الزمن قدم ماكس فيبر (1903م) أطروحة كبرى بشأن الدور الحاسم للأخلاقيات البروتستانتية ـ وبخاصة الكالفينية ـ في التطور الناجح للاقتصاد الصناعي الرأسمالي؛ مستمدًا تحليله لدور الثقافة في ظهور الرأسمالية من العالم، كما رآه في أواخر القرن التاسع عشر، ويكتسب تحليل فيبر أهمية خاصة في العالم المعاصر، وبخاصة على ضوء النجاح الحديث لاقتصاديات السوق في المجتمعات غير البروتستاتية.

ربما يكون هناك العديد مما نتعلمه من هذه النظريات، وقد تكون الصلات التجريبية التي تكشفها ذات بصيرة نافذة، ومع ذلك من الملحوظ أيضًا كيف أن التجارب اللاحقة فوضت العديد من النواحي الخاصة للتفسيرات الثقافية، استنادًا إلى ملاحظة الماضي، وبالفعل فإن نظريات الجبرية الثقافية غالبًا ما تتخلف خطوة واحدة عن العالم الحقيقي."

( ) تقريرالتنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،2004.

الشعوب وجينات الخضوع !!*

... فهل يمكن أن يُوصف شعب ما بأنه يحمل صفات وراثية تقبل الظلم والهوان؟!

من أفضل الباحثين الذين ناقشوا هذه المسألة الدكتور جمال حمدان في كتابه الشهير «شخصية مصر»، ويتعرض لفرضية خنوع وخضوع الشعب المصري والتي ترجع في نظر بعض الباحثين لأمرين:

الأول: خضوعهم للفرعون؛ لأنه المتحكم في ماء النيل.

الثاني: الطبيعة الزراعية المصرية، التي تجعل المصريين مرتبطين بالأرض وليس لديهم قدرة على الاعتراض والمغامرة، مثل سكان البيئة البدوية الصحراوية.

وفند حمدان هذه الفرضية في فصل كامل من كتاب «شخصية مصر»، وختم بحثه لهذه المسألة بهذه العبارات الذهبية التي تجمل رأيه في القضية:«فالطغيان حقيقة تاريخية ليست جغرافية، وظاهرة تراثية وليست وراثية، أي: موقوتة مهما طالت، فالطغيان إذن لا يعبر عن أي طبيعة كامنة في مصر، كبيئة أو كشعب، ولا يمثل انبثاقه طبيعية من المكان، وإنما انحرافه سياسية عبر الزمان، وفي النهاية لا يعبر عن شخصية مصر الاجتماعية الكامنة الأصيلة قط».

وهذا في تقديري ينسحب على كل شعوب المنطقة التي ما زالت

حية وفتية وقوية، وستزداد قوة عندما يتوافر لها قادة يبشرون الجماهير بالأمل والقدرة على الفعل وتحقيق النصر، ويجسدون هذه المعاني على أرض الواقع، ويقدمون للجماهير نماذج من النجاح والصمود.*

الذاكرة التاريخية للحركات:

كما أشرت إلى أهمية إدراك وتحليل الذاكرة الثقافية والتاريخية للإقليم بشكل عام، والوقوف على القواسم التاريخية المشتركة لسكان الإقليم، ينبغي كذلك على قادة الحركات معرفة الذاكرة التاريخية للحركات التغييرية والتحررية التي نشأت في داخل الإقليم، والوقوف على درجات النجاح والفشل التي تحققت لهذه الحركات، ومعرفة مدى تجاوب السكان مع الحركات من حيث التأييد وتوفير الحماية والدعم، ومعرفة دور المناطق الجغرافية من حيث درجات التأييد للحركات، فدرجة تجاوب المناطق ليست واحدة، كما أن نوع الدعم الذي تقدمة كل منطقة يختلف من منطقة إلى أخرى والنماذج التغييرية القادمة، والتي تنتمي لقارات وبلدان مختلفة تؤكد على أهمية الإحاطة بهذا الجانب.

النموذج المصري:

هناك نظرية تقول: إن الجنوب –الصعيد– يقدم الرجال للحركات، والشمال –الوجه البحري– يقدم المال، وأصحاب هؤلاء النظرية يستدلون عليها بحركة أحمس، ومينا موحِّد القطريين، والزعيم جمال عبد الناصر، فكل هؤلاء يجمعهم قاسم مشترك، هو أن مسقط رأسهم كان

في الصعيد، وتحركوا صوب الشمال –الدلتا– التي قدمت لهم المال والدعم اللوجستيى.

«ففي معظم الحالات كان الصعيد هو قاعدة التحرير أو إعادة التوحيد، كما كان في البدء قاعدة التوحيد، وهذا يرمز ببلاغة إلى دور الصعيد في الوحدة القومية طوال التاريخ؛ فمن البديهي أن الصعيد – ومساحته نصف مساحة الدلتا، وشكله ملموم على نفسه رغم طوله– أسهل توحيدًا وتماسكًا من الدلتا، ولئن كانت الدلتا في نظرتها النفسية والحضارية تأخذ من سعة ورحابة أرضها، بينما يأخذ الصعيد في نظرته وعقليته من ضيق قاعدته وعزلتها نوعًا، فإن كان الثراء والتقدم والتفتح المادي والنسبي للدلتا، فإنه يعني للصعيد العصبية والعزيمة والشكيمة، وكما يلخص «حزين» ببلاغة: لئن كانت الدلتا قد أمدت مصر بالمال، فقد أمدها الصعيد بالرجال، وهكذا تكامل دور كل منها في صنع الوحدة الوطنية».( )

أمريكا الجنوبية:

فهناك أقاليم تموج ذاكراتها التاريخية بالحركات الثورية والتحريرية، مثل قارة أمريكا الجنوبية التي تعتبر معقلاً لكثير من الحركات اليسارية الاشتراكية القوية، التي ما زالت تحقق نجاحات داخل أمريكا الجنوبية، وتؤثر في المجتمع المحلي، وتحصل على تأيد الجماهير من خلال

( ) جمال حمدان: شخصية مصر، القاهرة– دار الهلال.

الانتخابات النزيهة (تجربة فنزويلا، وبوليفيا)، على الرغم من سقوط الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل رأس الحربة في المشروع الاشتراكي، وهذه ظاهرة تستحق دارسة عمقية تقف على كافة الأسباب التي جعلت حركات اليسار تجد بيئة مساندة في أمريكا الجنوبية( )؟

النموذج الصيني: الذاكرة التاريخية الفلاحين في الصين تحتوي سجلاً كبيرًا من النضال والمقاومة للقوى الإقطاعية في الصين، وقاموا بالعديد من الثورات الكبيرة، فمن سنة 1901 إلى سنة 1910م اشتعلت الصين بما يقارب ألف انتفاضة، استنهضت عشرات الملايين من الفلاحين، مثل «حرب التايبينج» التي جرت بين (1850 و1864م)، حيث حمل الفلاحون والفلاحات آنذاك السلاح، وأقاموا حكومة ثورية في نانكينج.

فشريحة الفلاحين في غالب الأحيان كانت علاقتها بشريحة ملاك الأراضي - أو ما يطلق عليهم الإقطاعيين- علاقات عداء وصراع، والتجربة الصينية رغم أن إيديولوجيتها كانت يسارية اشتراكية، وتعتمد في الأساس على شريحة العمال، ولكن شخصية الإقليم الصيني لم يستجيب لهذا الإطار العمالي، وتعاملت بإيجابية مع الفلاحين والقرويين وذاكراتهم الثورية( ).

( ) jorgeg.castaeda.turn in america s left.affairs.vol.85.Nomay.june 2006

( ) ترجمة حسين الحوت، حمدي حافظ: ماو تسي تونج.. حياته وعصره ـ روي ماك جريجور هاستي ـ القاهرة- الدار القومية للطباعة والنشر بدون تاريخ.

النموذج الأوربي:

التقدم الذي تشهده أوربا هو نتاج لجهود حركات التغيير السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، بعض هذه الحركات نجحت في تحرير العقل الأوربي وإطلاق طاقاته نحو التقدم والرقي، وأيضًا هناك حركات كانت وبالاً على الأوربين جميعًا، مثل الحركات العنصرية (النازية والفاشية)؛ فالذاكرة المجتمعية الأوربية تعلمت من دورس التاريخ القاسية، وخاصة في مجال بروز الحركات السياسية العنصرية، ونجح المجتمع في وضع آليات تحول دون وصول هذه الحركات العنصرية لقمة الفعل السياسيي الأوربي، فالذاكرة التاريخية الأوربية سالبة تجاه الحركات العنصرية، وبالتالي تكرار تجربة هذه الحركات سوف يصطدم بعدم قبول المجتمع الذي عانى من هذه الحركات، وما نتج عن بروزها من حروب (الحرب العالمية الأولى والثانية).

ولست الآن بصدد مناقشة هذه النماذج السابقة، ولكن أشيرفقط إلى أهمية معرفة السلم التاريخي لحركة نشوء وتتطور الحركات داخل الإقليم، فإن التاريخ البشري - بما فيه تاريخ الحركات- هو ظل الإنسان على جغرافية الإقليم، كما أن جغرافية الإقليم هي ظل الأرض على التاريخ.

قادة الحركات ومثلث الذاكرة:

الضلع الأول هو الذاكرة التاريخية للحركات في الماضي، والضلع الثاني هو واقع الحركات في الوقت الراهن، والضلع الثالث هو ضلع صناعةالمستقبل (ضلع المستقبل).

فمن خلال دارسة ماضي الحركات والوقوف على أسباب النجاح والفشل، ومن خلال رصد واقع الحركات في الحاضر، من حيث مدى قربها أو بعدها من تحقق أهدافها، يمكن للرواد الجدد من قادة الحركات إبداع حلول واستراتيجيات تتعالى على أخطاء الماضي وأسر الحاضر (ليس في الإمكان أبدع مما كان)، وتحلق نحو المستقبل بسرعة أكبر.

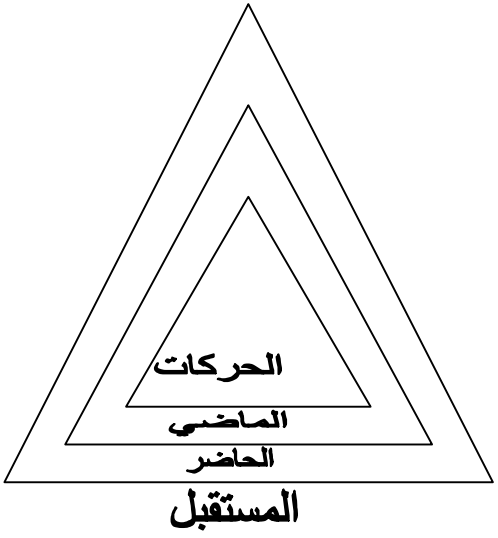

شكل رقم (19)

ملخص الفصل الرابع

1- لابد لحركات التغيير أن تدرس الذاكرة التاريخية للإقليم .

2-لابد للحركات الجديدة دراسة الذاكرة التاريخية للحركات السابقة والمعاصرة لها فى الإقليم.

القواعد الذهبية :

- حركة تغييرية + معرفة الذاكرة التاريخية للإقليم = سرعة فى تحقيق الأهداف
- حركة تغييرية – معرفة الذاكرة التاريخية للإقليم = تأخر فى تحقيق الأهداف

* * *

الملاحـــق

ملحق الفصل الأول:

ومن أبرز الباحثين العرب الذين كتبوا في مجال شخصية الأقاليم الدكتور الراحل جمال حمدان.

* **الشخصية الإقليمية:** شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم، إنها تتساءل أساسًا عما يعطى تفردها وتميزها بين سائر المناطق، وتريد أن تنفذ إلى «روح المكان»؛ لتستشف «عبقرية الذاتية» التي تحدد شخصيتة الكامنة (genius IOCI).

وبحث مؤرخون كُثر من دول مختلفة في شخصيات الأقاليم، ابتداء من سيريل فوكس في مؤلفه الشهير «شخصية بريطانيا»، وإلى حسين مؤنس في «مصر ورسالتها»، إلى حسين فوزي «سندباد مصري»، وشفيق غربال في «تكوين مصر»، وأندرية زيجفريد في كتابة «سيكولوجية بعض الشعوب»، وأيضًا ددلي ستامب في كتابه «وجة بريطانيا».

(أ) رحلة ماو تسي تونج:

- ولد «ماو» في 28/ 12/ 1893م في «shaoahan» في إقليم «Hunan».
- عام 1911م التحق بالمدرسة العليا بـ«changsha» عاصمة إقليم «Hunan».
- عام 1912م تكون الحزب القومي.
- عام 1913م (في فبراير) فاز بأغلبية المقاعد في البرلمان، وفي نوفمبر تمَّ حله بقرار من الرئيس.
- عام 1916م مات الرئيس «Yuan shikai»، وبدأت الصراعات على السلطة بين جنرالات الجيش وغزت اليابان إقليم «Shandong».
- من عام 1918م أكمل «ماو» دراسته العليا في مدينة «Changsha».
- 1919م تجمع ما يزيد على 3000 طالب في « Tiananmen Square» في بلدية «Beijing» للاحتجاج على اتفاقية تسمح للجنود الألمان بالتنقل من إقليم «Shandong» إلى اليابان في الحرب العالمية الأولى.
- 1920م رجع «ماو» إلى «Changsha»، وبدأ يعلم الطبقات

الدنيا من المجتمع في هذه القرية، ولكن وجهت هذه المحاولات بالتصدي فتركها ورجع إلى السياسة، وكون مجموعة شيوعية صغيرة.

- 1921م تكون الحزب الشيوعي الصيني بدعم من الاتحاد السوفيتي، وعقد أول مؤتمر له في «Changsha»، وشارك «ماو» فيه أمينًا عامًا للمؤتمر، وعين أمينًا عامًا للحزب في إقليم «Hunan»، وبدأ في تنظيم اتحاد للعمال، وعمل الكثير من الاضطرابات.
- 1922م تمَّ الاتحاد بين الحزب القومي والحزب الشيوعي بدعم من السوفيت، وعين «ماو» رئيسًا للجنة التنفيذية للاتحاد في «Shanghai».
- 1923م تمَّ تعيين «ماو» في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي، والذي عقد في «Guangzhou» ضمن اللجنة الرئيسية للحزب الشيوعي.
- 1925م تمَّ تعيين «ماو» رئيسًا للجنة الدعاية للحزب القومي، وبدأت ملامح انهيار الاتحاد بين الحزب القومي والحزب الشيوعي.
- 1927م أيقن «ماو» أن نجاح الثورة في الصين يعتمد على الفلاحين، فأخذ ينظم الفلاحين في الأقاليم الجبلية على امتداد الحدود بين إقليمي «Hunan» و«Jiangxi»، ونظم الفلاحين

والعمال في مجموعات مسلحة، وتمَّ تدريبهم على حرب العصابات، وفي آخر العام وصل العدد 10000 جندي، وأطلق عليهم «الجيش الأحمر».

- 1928م وصل عدد الحزب الشيوعي إلى 40000 عضو.
- 1931م أعلن «ماو» إقامة الجمهورية الشيوعية في إقليمي «Jiangxi ،Fuijin».
- 1934م أصبح رئيسًا للحزب الشيوعي بلا منافس.
- 1938م تمَّ إعادة الاتحاد بين الحزب الشيوعي والحزب القومي لمواجهة الغزو الياباني للصين.
- 1945م الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلة النووية على اليابان.
- 1949م استولى على بلدية «Beijing» بدون قتال، وأحكم السيطرة عليها.
- 1949م (شهر أكتوبر) أعلن جمهورية الصين الشعبية، وأصبح أعضاء الحزب الشيوعى 4.5 مليون، 90٪ منهم فلاحين، وفي نهاية العام سافر «ماو» إلى موسكو لمقابلة ستالين والتفاوض بشأن الدعم العسكري والمساعدات المالية.

ملحق الفصل الثاني

(ج) نشأة وتاريخ حزب الله

النظرية الطائفية:

لقد قامت نظرية النظام الطائفي على أساس أن لبنان هو مجموعة أقليات طائفية تتشارك في حكم البلد، وتقرير مصيره، يكون وفق حجم كل جماعة، وتكرس ذلك في أعراف الممارسة السياسية والدستور حتى بعد الاستقلال في عام 1943م، فجاء الميثاق الوطني اللبناني (1943م) ليعترف بالطائفة أسلوبًا للحكم ونمطًا لتوزيع السلطة، فيما عرف بتوزيع الرئاسات الثلاث: الجمهورية للموارنة، والحكومة للسنة، والمجلس النيابي للشيعة، وكذلك في توزيع الحقائب الدستورية بما يوفر رضا الطوائف وتمثيلها، وتوزيع الحصص الإدارية على الطوائف، والذي لم يعمل به حتى عام 1959م بسبب احتكار بعض المراكز الأساسية من قبل الموارنة.

ولم تستطع لبنان بعد الاستقلال أن توفر تقدمًا ملموسًا على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، باستثناء فترة الخمسينيات من القرن الماضي، ولم تتمكن بسبب الفرز الطائفي أن ترسخ مبدأ المواطنة، ولم تكترث بتنمية الجنوب الذي تضرر اقتصاديًّا بعد قيام إسرائيل عام 1948م، بل أخذت خارطة لبنان الطائفية الجغرافية تتعرض لتعديلات كبيرة قبل عقدين من الحرب الأهلية عام 1975م، ساهم فيها التحول

الرأسمالي في لبنان وكثافة الهجرة الداخلية إلى المدن وبيروت والضواحي، كما شكل الصراع الوطني اللبناني مع إسرائيل، والوجود الفلسطيني في الجنوب منذ 1969م سببين آخرين لزيادة هذا النزوح، فأحدث هذا تحولاً ظاهرًا في التكوين السكاني لمدينة بيروت وضواحيها، اتخذ طابعًا طائفيًّا إسلاميًّا شيعيًّا على وجه الخصوص.

أما الطائفة الشيعية في لبنان، فقد تعرضت للاضطهاد سابقًا من قبل المماليك والعثمانيين، واستبعدها الأخيرون من الحياة السياسية، ولم يكن للشيعة ممثلون في مجلس الحكم المعروف بـ«قائمقام» مثل بقية الطوائف الأخرى، رغم الاعتراف بوجودهم السياسي منذ بدء عهد المتصرفية، وكانت أمورهم الشرعية يبت فيها القاضي السني.

وفي ظل الانتداب الفرنسي، استمرت منطقتا الجنوب والبقاع تعانيان من إهمال شديد، كما بقيت الشيعة بعد الاستقلال كتلة اجتماعية يغلب عليها طابع الفقر، يعملون في مجال الزراعة البدائية والوظائف الوضيعة، وكانوا الأقل مشاركة في السلطة السياسية، وفي الإدارات الرسمية والخاصة، مع سيطرة نفر من الإقطاع العائلي على أمور الطائفة، وحتى عام 1967م، لا يمكن القول بوجود حزب لبناني فاعل جمهوره الرئيسي شيعي، رغم تمفصل الأحزاب السياسية على الجماعات الطائفية، ولم تكن الطائفة الشيعية تستطيع بلورة مشروعها السياسي الخاص، فلا الدور السياسي التاريخي في إطار الكيان اللبناني يؤهلها لذلك، ولا التكوين الاجتماعي، ولا الارتباط الخارجي

يسمحان بذلك، واقتصرت الحياة السياسية في الجنوب تاريخيًّا على تيار وطني عروبي تصدرت قيادته مدينة صيدا.

ورغم ذلك لم تكن المطالبة بحقوق الشيعة غريبة عن الفئات الاجتماعية التي تتكون منها الطائفة، إذ كانت عوامل عدة تدفع الشيعة لأن يتحركوا للتعبير عن أنفسهم كحركة مطلبية طائفية، على ضوء التحولات السياسية التي حدثت قبيل الحرب الأهلية بعقد كامل، ومن هذه العوامل: انغلاق الطائفة على تراثها الديني كإطار عام للذاكرة الجماعية، ومصدر تماسك العصبية الطائفية، وتقاطع الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في لبنان منذ أوائل الستينيات، مع تحمل الجنوب أعباء المواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ عام 1968م، وقصور القوى السياسية الوطنية العلمانية عن طرح برنامج وخطة استيعاب لهذه المستجدات ولوضع الجنوب، ودخول البلد في تفكك طال جميع المؤسسات، فأظهر الانقسامات الطائفية والمذهبية بحدة، مما خلق التقاءً بين المطلب الاجتماعي، والمطلب الطائفي السياسي، في وقت كان التمثيل النيابي الإسلامي قد أفسح المجال لأن تعبر الحركة الشيعية عن نفسها كحركة طائفية.

شرارة البدء (الإمام موسى الصدر):

وكان لبروز الإمام موسى الصدر كقيادة دينية شيعية بعد استقراره في لبنان عام 1959م أثر ضخم على الطائفة الشيعية، فبعد أن بدأ نشاطه في مجال الخدمات على إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى،

الذي كان الصدر أول رئيس له في 23 مايو 1969م، وأعلن برنامجه العملي، ومنه: تنظيم شئون الطائفة الشيعية وتحسين أوضاعها اجتماعيًّا واقتصاديًّا، والتعاون مع الطوائف اللبنانية كافة، وحفظ وحدة لبنان، ودعم المقاومة الفلسطينية والمشاركة الفعلية مع الدول العربية لتحرير الأراضي المغتصبة، وبعد العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان عام 1968م، طالب الصدر بإنشاء مجلس الجنوب، والذي أنشأته الحكومة في عام 1970م، لكن مع ضعف أداء هذا المجلس.

3- حركة المحرومين

أسس الصدر حركة المحرومين في مايو 1974م، بعد أن أعلن معارضته للحكم، ثم أسس أفواج المقاومة اللبنانية «أمل»، ذات الطابع العسكري في يوليو 1975م، وذلك بعد شهور من بدء الحرب الأهلية اللبنانية.

ومع اختفاء الإمام الصدر في ليبيا في أغسطس 1978م، مرت حركة أمل بمخاض داخلي كبير، فانقسمت بين تيارين فكريين رئيسين تجاذبا الحركة حتى عام 1982م:

أ) جناح العلمانيين بقيادة نبيه بري.

ب) جناح الإسلاميين المتدينين الذين أرادوا أن تكون الحركة إسلامية تلتزم بنهج شرعي، وتسير على خط الإمام الصدر.

ومع الاجتياح الإسرائيلي للبنان في 6 يونيو 1982م، توزع

الإسلاميون داخل حركة «أمل»، كما شكل عباس الموسوي حركة أمل الإسلامية.

2ـ تراجع عربي وثورة إيرانية واجتياح إسرائيلي.

جاء اجتياح لبنان، فيما عرف باسم «عملية سلامة الجليل»، والتي استهدفت إخراج منظمة التحرير من لبنان، التي وسع شارون أهدافها لفرض نظام جديد في لبنان، في ظل ظروف داخلية وعربية وإقليمية ودولية غير مهيأة لاتخاذ رد فعل قوي؛ فالحرب الأهلية جعلت مقاومة اللبنانيين غير مؤثرة ضد الإسرائيليين، كما استنزف مجهود المقاومة الفلسطينية في مستنقع هذه الحرب، وعربيًّا، كان الشعار القومي العربي قد خفت تمامًا بعد توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية في عام 1979م، كما أنه كان بديلاً لبنانيًّا لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي بعد الضعف الذي أصاب المقاومة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية، وهنا لا يمكن إغفال الدور السوري الذي بدا التقارب بينه وبين حزب الله كبيرًا، وخاصة في ملف مقاومة إسرائيل.

وأعلن الحزب بعد كل هذه المراحل عن نفسه رسميًّا في صيف عام 1982( )".

( )إبراهيم غالي، حزب الله.. بين المقاومة ومتاهات السياسة اللبنانية، القاهرة،كراسات مركز الأهرام للدراسات، العدد رقم (173) – مارس 2007

لكن كيف تمكن حزب الله من الحصول على الكثير من التأيد الشعبي واللوجستي من الطوائف الأخرى في داخل لبنان وخارجها؟ بل امتد هذا التأيد لحزب الله وسط شعوب العربية والإسلامية وخاصة في حربه الأخيرة مع الكيان الصهيوني سنة 2006م.

استراتيجيات الحركات التغييرية في التعامل مع الأزمات تنقسم لأربعة أنواع:

النوع الأول: استراتيجية القطارات

بمعنى هناك حركات بأوزان الأفيال، لا تقوى على التحرك بخفه، وقدرتها على المناورة محدودة، وتحتاج لوقت طويل لتغيير الاستراتيجية التي تعمل بها، تماما مثل حركة القطارات، فليس من السهل تغيير مسار القطار إلا من خلال الانتقال من قضيب إلى قضيب آخر، وهذا يستغرق وقتًا وجهدًا كبيرين، مما ينعكس على الحركة في شكل تكبد خسائر، وتأخر نتائج نتيجة لصعوبة تغيير الاستراتيجيات.

النوع الثاني: استراتيجية السيارات

فسرعة السيارة في تغيير اتجاهها عندما تواجه تحديًا أسرع من سرعة القطار عندما يواجه نفس التحدي، فهناك حركات سرعة استجابتها للأحداث، وما يتبع ذلك من تغيير في الاستراتيجيات تمامًا مثل سرعة السيارة، وبالتالي خسائرها غالبًا تكون أقل من الحركات التي تعتمد استراتيجية القطارات.

النوع الثالث: استراتيجيات القوراب السريعة

القوراب السريعة التي تجول على المسطح المائي تغيير اتجاهها بسرعة فائقة، أسرع من القطارات والسيارات، وتستجيب للتحديات بسرعة فائقة وكبيرة، وبالتالي خسائرها تكاد تكون معدومة مقارنة بالقطارات والسيارات، وهكذا هناك حركات تبني استراتيجيها على سيناريو القوراب السريعة، فتكون لديها القدرة الفائقة على تحويل التحديات التي يفرضها عليها الخصوم إلى مكاسب تحسب لها؛ بفضل خفة حركتها وسهولة تغيير استراتيجيها وتكتكيتها بما يتناسب من التحديات الواقعة عليها.

والنوع الرابع: استراتيجية العصافير

الأفعى حيوان لا يقوى على الطيران أو التحليق، وإنما يجيد التخفي والزحف على الأرض، فكيف يستطيع هذا الحيوان أن يشبع بطنه من الطيور خاصة العصافير التي تحلق ببراعة وسرعة على بعد أميال من الأفعى؟

يقول الراصدوان للمعركة بين الأفعى والعصفور: إن العصفور عندما يرى الأفعى يصاب بحالة من الانهيار العصبي والنفسي، وتحدث له صدمة مفاجأة تشل قدرته على الطيران لفترة محدودة، تتمكن الأفعى خلالها من اصطياد العصفور هذه الفترة.

فهناك حركات عندما تدخل ميدان الصراع دون وجود استراتيجيات

للتعامل مع التحديات والمصاعب تصاب بصدمة كبيرة واضطراب يمكن الخصوم من الانقضاض عليها وتفتيت قوتها الصلبة والناعمة.

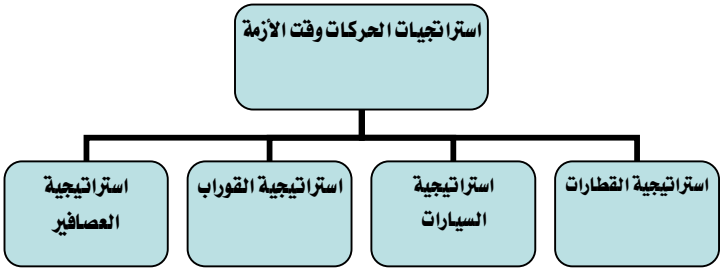

حزب الله والحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان 2006م:

الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية كانت تعتمد على المربع الذهبي الذي تتكون أضلاعه من:

1- «استراتيجية الصقر» الذي يلتقط الخصم حيثما كان ووقتما يريد، وأقصد بالصقر سلاح الجو الإسرائيلي، الذي دمر وقصف في كثير من البلدان العربية، بدءًا من حرب 1967م، ومرورًا بضرب المشروع النووي العراقي، وانتهاءً بضرب قيادات منظمة التحرير في تونس، وكان هذا الصقر المرعب لكل المنطقة مفرود الجناحين في كثير من المعارك العربية – الإسرائيلية.

ولكن استراتيجية «**الأفعى**» التي اعتمدها حزب الله، جعلت هذا الصقر يقف مكتوف الأيدي في هذه المعركة، فأفعى حزب الله تجيد

الاختفاء والتنكر بين الأحراش والقرى والمدن، فلم يصب أحد من قيادات حزب الله من قبل الطيران الإسرائيلي، وحتى منصات صورايخ رعد وخيبر ظلت تعمل بكفاءة من تاريخ بدء الحرب حتى إنتهاءها.

2- الضلع الثاني: «استراتيجية القلعة»، فإسرائيل على طوال تاريخها العسكري تضرب ولا تُضرب، لم نسمع عن قصف الداخل الإسرائيلي، وترويع سكانه وتدمير مستعمراته قبل تجربة حزب الله الأخيرة، وهكذا هُدم الضلع الثاني من العقيدة العسكرية الإسرائيلية على يد صورايخ حزب الله الرشيقة.

3 - الضلع الثالث المهدوم تحت أقدام حزب الله «استراتيجية السكِينة الإسرائيلية» التي تعمل في «الجاتوه» العربي دون خسائر أو ضحايا، فإسرائيل كانت تروج لنفسها على أنها الجيش الأكثر استعدادًا في العالم على الدخول في المناطق البرية بأقل خسائر في المعدات والأفراد، وقد بلغت خسائر إسرائيل في قواتها البرية، وخاصة قوات النخبة الإسرائيلية حدًّا أزعج إسرائيل، وجعلها تقف عاجزة أمام رجال حزب الله في الجنوب.

4- والضلع الأخير في المربع الاستراتيجي المهدوم، هو «آلة الحرب الإسرائيلية» (المركافا)، أقوى وأمنع دبابات العالم كما يقولون، والتي حاولت إسرائيل بيعها للصين وتركيا وبعض دول العالم، وها هي تُقصف وتُدمر بصورايخ رجال حزب الله البدائية في المنظور العسكري الحديث! وقد ألغت تركيا صفقتها من المركافا بعد فشلها في الجنوب اللبناني سابقًا ولاحقًا.

وأخيرًا ـ أيًا كانت نتيجة الحرب ـ على إسرائيل أن ترمم المربع المهدوم والهيبة المفقودة في الجنوب اللبناني!!

ملحق الفصل الرابع

الشعوب والحاسة السادسة:

الشعوب والجماهير تمتلك ما يعرف بالحاسة السادسة من خلالها تستطيع تحديد دورها ووقت تداخلها فى الفعل التغييري، فبعض الحركات تعتقد أن الخطاب الحاد والايديولوجي كافي لحشد الجماهير حولها، وتحملها لتكلفة التغيير، وهذا عمليًا لا يكف، وإنما هو أحد العوامل المساعدة للحشد.

فالشعوب تخضع لثلاثة عناصر مفصلية على أساسها تتخذ قرارها الجمعي:

(1) القيمة التى ستحصل عليها إذا تحركت.

(2) الكلفة: كم التكلفة التي لا بدَّ أن تدفعها لتحصل على القيمة المنشودة.

(3) الإمكانية: ما إمكانية الانتصار، وتحصيل القيمة المنشودة فى

حالة دفعها للتكلفة التى تطلبها منها الحركات( ).

وهنا يأتي دور الحركات التغييرية للفوز بالطرف الثالث (الجماهير)، بإظهار مدى أهمية فكرة التغيير، والتبشير بالمستقبل الجديد، وباختيار الفكرة الحاشدة الملامسة لآمال الجماهير، والتقليل من شأن الكلفة فى مقابل تلك القيمة، ورفع الحالة المعنوية، والتأكيد على إمكانية النصر، عندها تستجيب الجماهير والشعوب وتغادر مقعد المتفرج، ولكن عندما تكون الحركة التغييرية نفسها تعيش حالة من التردد وعدم الجدية فى الفعل التغييري فلن تستطيع خداع الجماهير والشعوب من أجل التعاون معها، وتبدأ الحركة المترددة فى تبرير فشلها من خلال وصف هذا الشعب أو ذاك بصفات السلبية والخنوع.

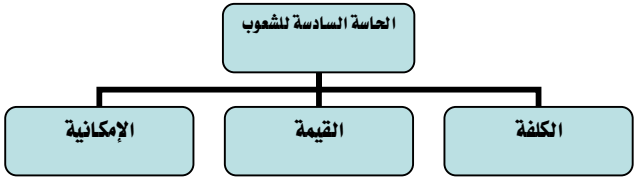

( ) أحمد عبد الحكيم، هشام مرسي، وائل عادل: حرب اللاعنف الخيار الثالث – الدار العربية للعلوم بيروت 2007

ملحق الأشكال والنماذج التوضيحية

الملحق الثانى: نماذج الفصل الأول

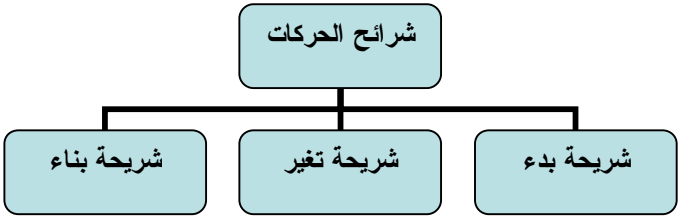

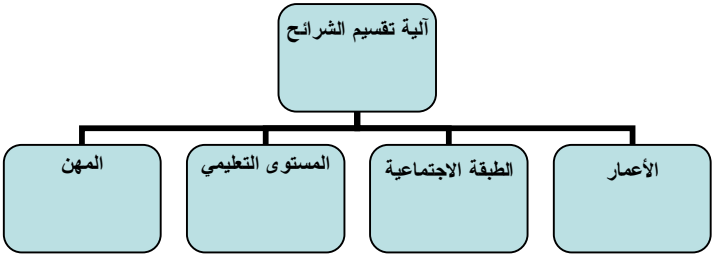

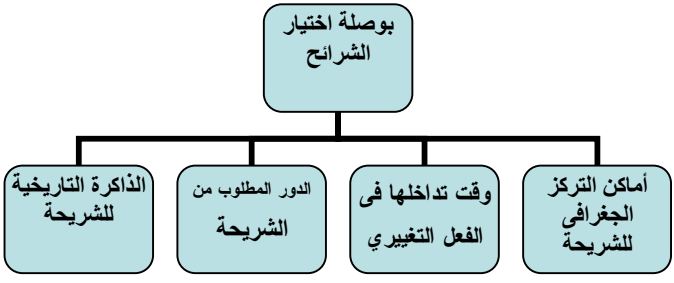

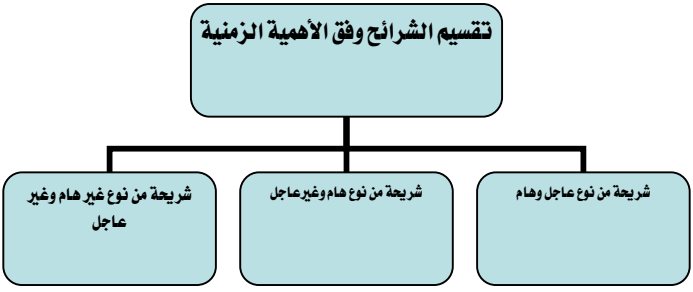
تقسيم الشرائح وفق الأهمية الزمنية
شريحة من نوع عاجل وهام
شريحة من نوع هام وغيرعاجل
شريحة من نوع غير هام وغير عاجل

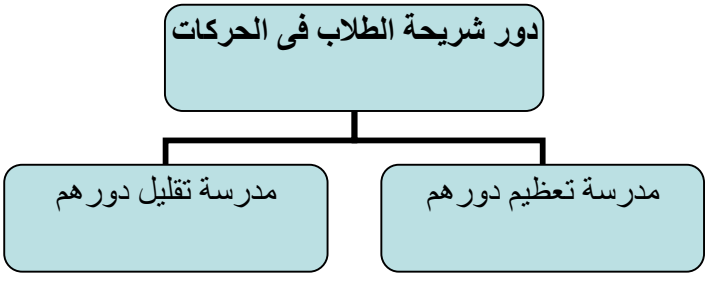
دور شريحة الطلاب فى الحركات
مدرسة تعظيم دورهم
مدرسة تقليل دورهم

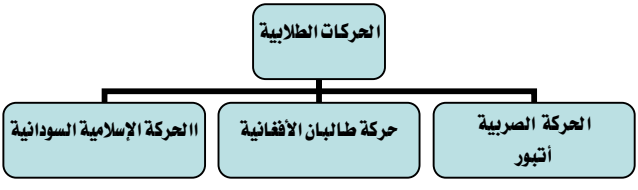
الحركات الطلابية
الحركة الصربية أتبور
حركة طالبان الأفغانية
االحركة الإسلامية السودانية

المعادلات الذهبية:

- حركة تغييرية + فهم لشخصية الإقليم = نجاح للحركة
- حركة تغييرية – فهم لشخصية الإقليم = فشل للحركة
- حركة تغييرية + معرفة خريطة الشرائح السكانية = نجاح للحركة
- حركة تغييرية – معرفة خريطة الشرائح السكانية = فشل للحركة
- حركة تغييرية + الشرائح الثلاث (بدء وتغيير وبناء) = حركة مرشحة للنجاح
- حركة تغييرية + شريحة بدء فقط = مشروع خيري

الملحق الثالث: نماذج الفصل الثاني

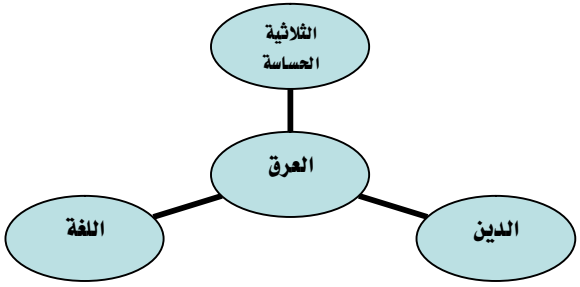

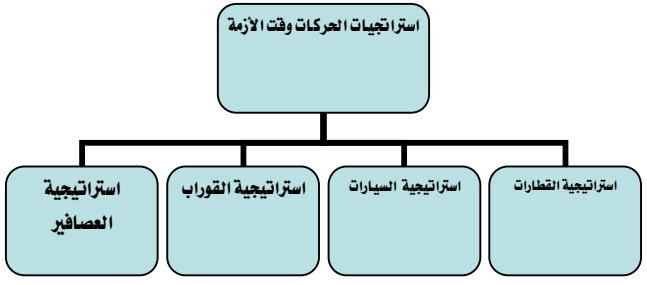

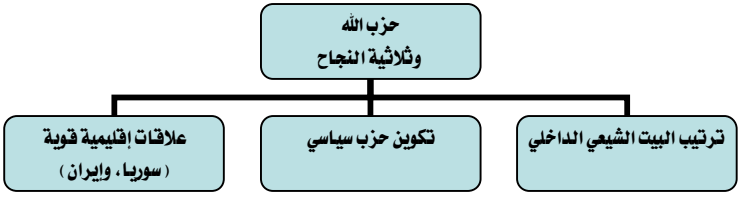

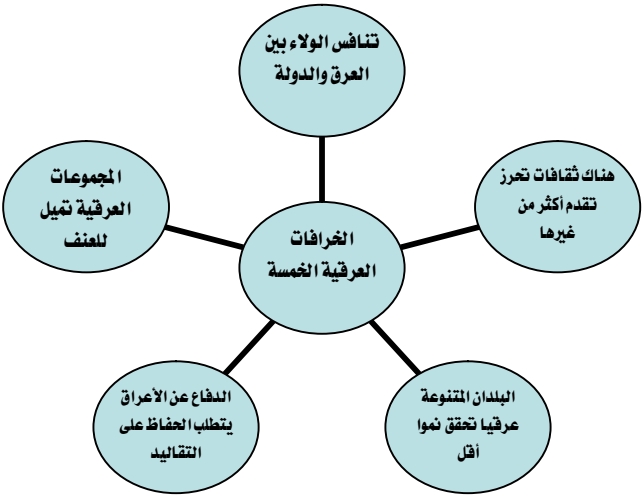
تنافس الولاء بين العرق والدولة
المجموعات العرقية تميل للعنف
الخرافات العرقية الخمسة
هناك ثقافات تحرز تقدم أكثر من غيرها
الدفاع عن الأعراق يتطلب الحفاظ على التقاليد
البلدان المتنوعة عرقيا تحقق نموا أقل

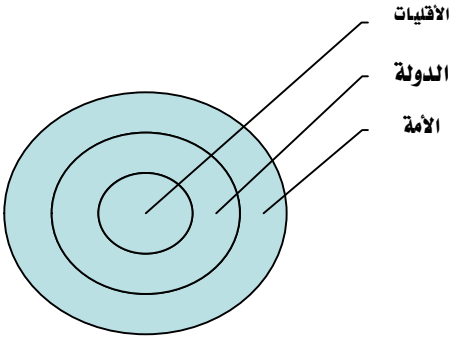
الأقليات
الدولة
الأمة

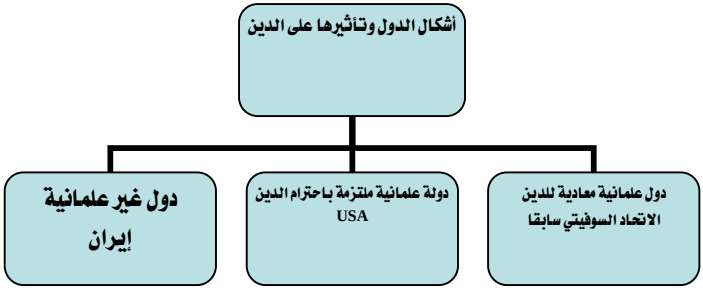

المعادلات الذهبية:

- حركة تغييرية + حسن تعامل مع الثلاثية الحساسة = مجتمع قوي
- حركة تغييرية + سوء تعامل مع الثلاثية الحساسة = مجتمع مفتت

الملحق الرابع: نماذج الفصل الثالث:

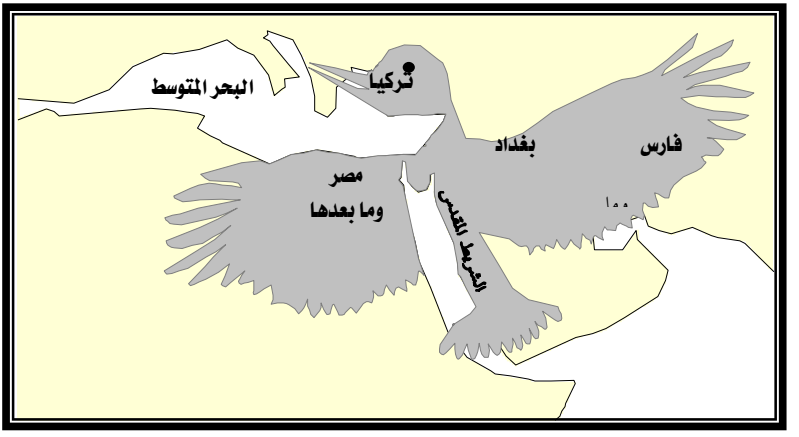

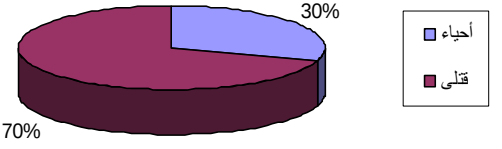

نسبة القتلى والأحياء في نهاية مسيرة الزحف العظيم لحركة ماوتسى تونج فى الصين

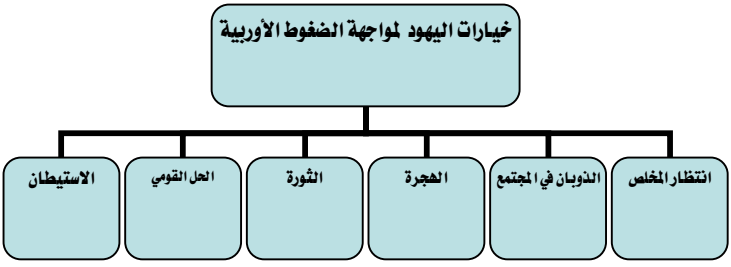
خيارات اليهود لمواجهة الضغوط الأوربية
انتظار المخلص
الذوبان في المجتمع
الهجرة
الثورة
الحل القومي
الاستيطان

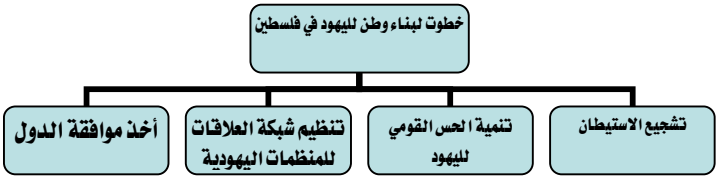
خطوت لبناء وطن لليهود في فلسطين
تشجيع الاستيطان
تنمية الحس القومي لليهود
تنظيم شبكة العلاقات للمنظمات اليهودية
أخذ موافقة الدول

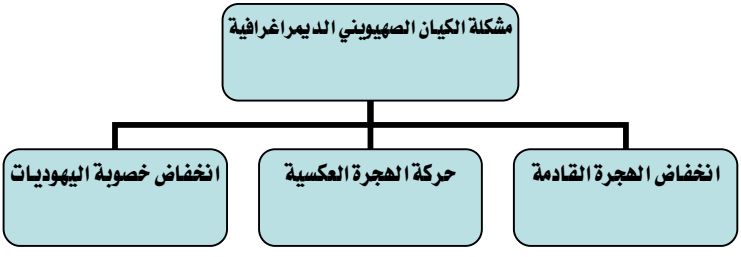
مشكلة الكيان الصهيوني الديمراغرافية
انخفاض الهجرة القادمة
حركة الهجرة العكسية
انخفاض خصوبة اليهوديات

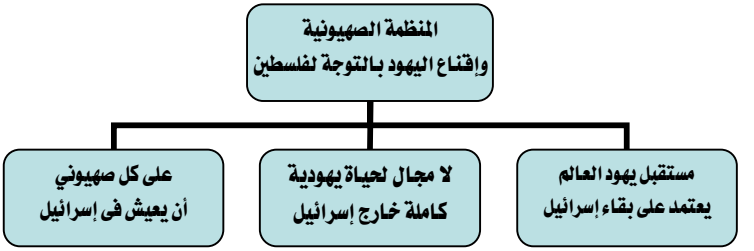

المعادلات الذهبية:

- إقليم +حجم سكاني كبير= كثرة فى عدد الحركات
- حجم سكاني كبير +حركات تغييرية = توفر القادة والمبدعين
- حجم سكاني كبير +حركات تغييرية = مجتمعات قوية
- إقليم فقير سكانيًّا- حركات تغييرية = مجتمعات خامدة

الملحق الخامس : نماذج الفصل الرابع :

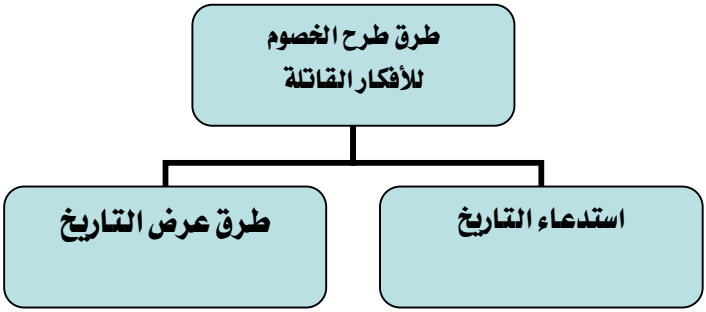

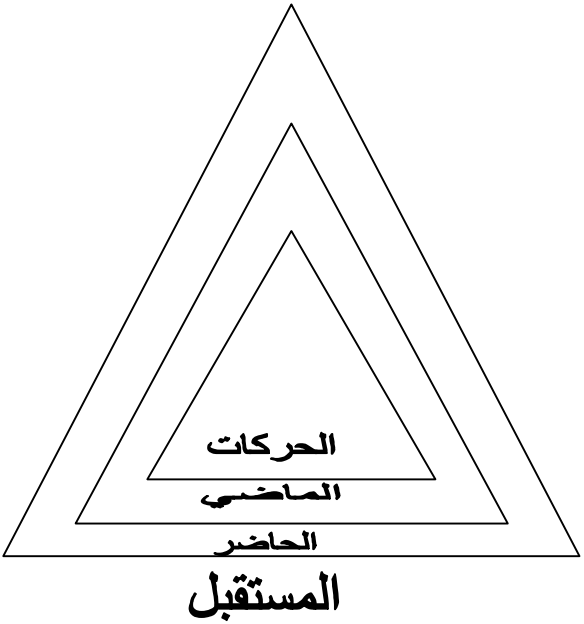

القواعد الذهبية:

- حركة تغييرية + معرفة الذاكرة التاريخية للإقليم = سرعة فى تحقيق الأهداف
- حركة تغييرية – معرفة الذاكرة التاريخية للإقليم = تأخر فى تحقيق الأهداف

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

1- إبراهيم الدسوقي شتا ،الثورة الإيرانية ..الصراع ..الملحمة ..النصر 1/ 2 الزهراء ،الطبعة الاولي 1986

2- إبراهيم الديب ،الجغرافيا السياسية – منظور معاصر- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية –1997

3- إبراهيم رزقانة ،الجغرافية السياسية ، القاهرة، دار النهضة العربية ، ،الطبعة الاولي 1963

4- إبراهيم غالي، حزب الله.. بين المقاومة ومتاهات السياسة اللبنانية، القاهرة،كراسات مركز الأهرام للدراسات، العدد رقم (173) - مارس 2007

5- أحمد سويلم العمري –أصول النظم السياسية المقارنة – القاهرة،الهيئة المصرية للكتاب -1976

6- أحمد عبدالحكيم، هشام مرسي،وائل عادل –حرب اللاعنف الخيار الثالث –بيروت الدار العربية للعلوم2007

7- أحمد مختار العبادى- في التاريخ العباسي والفاطمي ، بيروت ،دار النهضة العربية ،1971

8- آمال السبكي –تاريخ إيران السياسي بين ثورتين1906-1979 – الكويت، عالم المعرفة رقم1999،250.

9- ترجمة حسين الحوت، حمدي حافظ ـ ماوتسي تونج.. حياتة وعصره ـ روي ماك جريجور هاستي ـ القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر –،بدون تاريخ

10-ترجمة د/ عبد الحميد يونس ،قصة الحضارة ،ول وايريل ديورانت ،الجزء الرابع ،مطابع الدجوى ،1972

11-ترجمة عماد حاتم ، الكسندر دوجين ،أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا ، بيروت،دار الكتاب الجديد 2004

12-تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003،نحوإقامة مجتمع المعرفة ،UNDP،المكتب الإقليمي للدول العربية

13-تقريرالتنمية البشرية 2004 ، الحرية الثقافية فى عالمنا المتنوع ،برنامج الامم المتحدة الإنمائي UNDP ،2004

14-جاسم سلطان ،الذاكرة التاريخية ،المنصورة، دار ام القري ،2005

15-جاسم سلطان ،فلسفة التاريخ ،المنصورة، دار ام القري ،2005

16-جاسم سلطان –قوانين النهضة القواعد الإستراتيجية، المنصورة ،أم القرى -2005

17-جمال حمدان ،إستراتيجية الإستعمار والتحرر، القاهرة،دار الشروق،1983

18-جمال حمدان ،شخصية مصر ، القاهرة، الجزء الاول ،دار الهلال

19-جون جيراسي، "Venceremos! خطابات وكتابات تشي جيفارا، " المقدمة، سايمون وشوستر، .،

20-حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسيوالديني والثقافي والإجتماعي ، القاهرة،مكتبة نهضة مصر ،1979

21-دارسة لمحسن محمد صالح ، الجزيرة نت ،

22-سلامة موسى،كتاب الثورات ،سلامة موسى للنشر والتوزيع ،1954

23-الشبكة العربية للمنظمات الأهلية ،الشباب فى منظومة المجتمع المدنى،القاهرة ،2006

24-صفى الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم ، المنصورة ،دار الوفاء ،2004

25-عبدالله فهد النفيسي، دور الطلبة فى العمل السياسي،الكويت 1986

26-فتحى محمدابوعيانه ،الجغرافيا السياسية ،دار المعرفة الجامعية

27-فيلم غاندي الوثائقي

28-محمد بن مختار الشنقيطى ،الحركة الإسلامية فى السودان، لندن

29-محمد عتريس،معجم بلدان العالم دار الكتب القطرية ،الدار الثقافية للنشر،

30-محمود شاكر ،التاريخ الإسلامي ،الدولة العباسية بيروت ،المكتب الإسلامي --2000

31-معمر فيصل خولي ،القوة القادمة من الشرق ،مقال ،الافاق السياسية ،1/ 7/ 2007

32-المنظمة الصهيونية العالمية 1882-1982- د/ أسعد عبد الرحمن – بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، – الطبعة الثانية 1990

33-المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار ،القاهرة ج1

34-مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، إسلام آباد: معهد الدراسات السياسية، 1997

1- http://en.wikipedia.org/wiki/Salt_Satyagraha

2- http://histoiregeographie.iquebec.com/mostalahat.htm

3- http://islam.aljayyash.net/encyclopedia/book-6-19

4- http://lucy.ukc.ac.uk/csacpub/russian/mamay.htm

5- http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3605000/3605182.stm

6- http://www.afkaronline.org/arabic/archives/avr-mai2004/khedher.html

7- http://www.algonet.se/~jviklund/gandhi/ENG.MKG.salt.html

8- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/531DC6B9-4BF2-4E99-80B2-A8B0CA4CA6D9.htm#3

9- http://www.hukam.net/maps_index.php?sel=1

10- http://www.islamonline.net/arabic/famous/2001/11/article3.shtml

11- http://www.islamstory.com/Article.aspx?ArticleID=6.2&SectionID=0

12- http://www.killer-essays.com

13- http://www.maaber.50megs.com/eighth_issue/ghandi.htm

14- http://www.moreorless.au.com/heroes/guevara.html

15- jorgeg.castaeda.turn in america s left.affairs.vol.85.Nomay.june 2006

16- LEmonde.diplomatique ,july-53annee-no640